M/909 565

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 8 ماي 1945 - قالمة-

كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية

قسم التاريخ والآثار

151/294

عنوان المذكرة:

مواقف النخبة الجزائرية من قضية المرأة

1900-1962م

مذكرة مقدّمة لنيل شهادة ماستر في التاريخ العام

إعداد الطالبة :

زهية سمشاوي

إشراف الأستاذ الدكتور :

رمضان بورغدة

أمام أعضاء لجنة المناقشة:	الصفة	الجامعة الأصلية
صالح فركوس	أستاذ التعليم العالي رئيسا	جامعة قالمة 1945
رمضان بورغدة	أستاذ التعليم العالي مشرفا ومقررا	جامعة قالمة 1945
يوسف قاسمي	أستاذ محاضر أ عضوا مناقشا	جامعة قالمة 1945

السنة الجامعية 2014-2015م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــــــداء

إلى حموي الذي لم أر وجهه الشهيد معماش السعيد وكل من حرّروا الجزائر وصمّموا على أن تبقى دار إسلام

إلى أبي وأمي

إلى الأعزاء ابني و بناتي

إلى حفيدتي نسرين وأبيها

إلى زوجي الكريم

أهدي هذا العمل المتواضع.

شكر وتقدير

أسجد لله سبحانه وتعالىشاكرة إياه على فضله وإحسانه وتوفيقه لي لإتمام هذا العمل رغم تقدمي في السّن وضعف ذاكرتي وأسدي شكري وامتناني لأستاذي الدكتور رمضان بورنحدة الذي لم يتردد في قبول الاشراف عليّ ولم يبخل بأي توجيه، وإلى زوجي الفاضل وسندي في الحياة وما قدمه لي من عون مادي ومعنوي ونصائح وفائض التشجيع، وأشكر ابني العزيز زين العابدين وصهري مروان وابنتي سعدية على اقتنائهم لي مختلف الكتب من دور العاصمة وعلى المؤازرة والتحفيز، ولا أنسى تقديم جزيل الشكر لمن هتف لي ولو بالكلمة الطيبة لإنجاز هذا العمل،خاصة منهم أساتذتي بجامعتي قالمة وسطيف وأيضا زملائي الطلبة.

خطة البحث

المقدمة

الفصل الأول: وضع المرأة الجزائرية الاجتماعي قبل وأثناء الاحتلال الفرنسي

1. المرأة في ميزان الإسلام
2. الوضع الاجتماعي للمرأة الجزائرية قبل الاحتلال الفرنسي
3. الوضع الاجتماعي للمرأة الجزائرية أثناء الاحتلال الفرنسي
4. الدور الاجتماعي للمرأة الجزائرية أثناء الاحتلال الفرنسي

الفصل الثاني: مواقف النخبة المتفرنسة من قضية المرأة الجزائرية

1. مفهوم النخبة المتفرنسة
2. مواقف النخبة المتفرنسة من العائلة الأهلية
3. إسماعيل حامد و قضية المرأة
4. محمد صوالح و قضية المرأة
5. الشريف قاضي و قضية المرأة .
6. الشريف بن حبيلس و قضية المرأة .
7. موقف فرحات عباس و قضية المرأة.

8. مالك بن نبي من قضية المرأة.

الفصل الثالث: مواقف النخبة المحافظة من قضية المرأة الجزائرية.

1. تعريف النخبة المحافظة
2. موقف الشيخ عبد القادر المجاوي من قضية المرأة
3. موقف مصطفى بن الخوجة من قضية المرأة
4. موقف ابن قدور من قضية المرأة
5. موقف الشيخ محمد البشير الإبراهيمي من قضية المرأة
6. موقف الشيخ عبد الحميد بن باديس من قضية المرأة
7. موقف الشاعر محمد العيد آل خليفة من قضية المرأة

الخاتمة

مقدمة:

تعريف موضوع البحث: لتعريف يعدُّ موضوع هذه المذكرة من أهم الموضوعات الحيوية التي أحدثت مخاضا عسيرا وإرهاصات في فكر من عرفوا بفئة النخبة، في عهد الاستعمار الفرنسي، وهو في نفس الوقت موضوعا قديما متجددا، بحكم الحبل السري الذي يربطه بالإسلام، لأنه يتناول فئة تعدُّ نصف المجتمع المسلم بالجزائر المُتمَثّلة في فئة المرأة.

كما يتناول موضوع البحث الحالة الاجتماعية والثقافية التي كانت عليها المرأة الجزائرية إبان الاحتلال الفرنسي ورؤى النخبة بشقيها المتفرنس والمحافظ على اختلاف مشاربها وطموحاتها، ومن ثمة ستنصب دراستي حول مطالب هذه النخب لإخراج المرأة من الوضع المرزي الذي كانت تعيشه، كما سأتناول بالدراسة الفوارق الحاصلة في مواقف الشخصيات التي كان لها الباع الكبير في محاولة ترقية هذه المرأة التي تُعدُّ بحق منكوبة آنذاك على جميع المستويات، فمن جهة لم يكن المجتمع الجزائري يأْبهُ لوضعها ومن ثم حيَّدَها عن الأدوار الهامة، ومن جهة أخرى كانت تواجه التعسف والظلم الاستعماريين، لذلك سأتطرق بالدراسة للإرهاصات الأولى التي كانت الانطلاقة المتباطئة في تطور المرأة وأخذها نصيبا قليلا من العلم والمعرفة، ثم المراحل اللاحقة التي كانت البداية الفعلية لهذا التطور الذي أصبح القاعدة الصلبة لوضعها لما بعد الاستقلال.

أسباب اختيار الموضوع: يعود بالأساس سبب اختياري لموضوع المرأة وتطورها إلى كوني امرأة جزائرية ومن جيل غير جيل زملائي من الطلبة، فأنا زوجة وأم، كما يعود إلى رغبتي الجامحة لفك خيوط الصراع القائم بين المرأة والرجل وما يدور من لغط حول تطور هذه المرأة التي كانت تعيش التهميش والازدراء، ولعلّي أقف على الحقيقة المتمثّلة في مَن أخذ بيد هذه المرأة نحو هذا التطور والعيش الكريم الذي تعيشه الآن.

إشكالية البحث: رغم أن موضوع المرأة شيّق وطليّ إلاّ أن الكتابات التاريخية خاصة فيما يتعلق بالمرأة الجزائرية تبقى -حسب اطلاعنا- قليلة وغير متخصصة، وعليه يحق للمرء أن يتساءل عن الأسباب الحقيقة لتحييد المرأة الجزائرية عن أدوارها الأساسية وما هو سبب سكوت علماء الدين الجزائريين لفترة طويلة عن إعطائها حقها كما جاء به البيان، أو على الأقل ما أفطرتها الطبيعة عليه من ولادة وتربية أولاد وإسعاد المجتمع؟،وهناك سؤالا يفرض نفسه على المرء وهو: هل في عهد الاستعمار الفرنسي حظيت بنوع من الإحسان أم ازدادت شقاء؟، كما هو واجب الاستفسار عن النخب ومواقفها تجاه المرأة ككائن بشري وأيضا عن تغيير وضعها المأساوي وتطورها؟

مناهج البحث: لقد اعتمدت في إنجاز هذا البحث على المنهج الوصفي وبيّنت من خلاله حال المرأة الجزائرية والغبن الذي كانت تعيش فيه بالمقارنة مع المكانة التي منحها الإسلام، كما استعملت المنهج التحليلي لمعرفة الآراء الهامة للكتاب والمفكرين ومنه استخراج الرّؤى الصائبة حسب منطق الأشياء، كما اتخذت المنهج المقارن وسيلة لمقابلة

آراء شخصيات فئة النخبة الواحدة حول موضوع المرأة الجزائرية وتطوّرها، وأيضا مقارنة آراء شخصيات فئتي النخبة المتفرنسة والمحافظة فيما بينها.

صعوبات البحث: حاولت تحدّي الصعوبات قدر الاستطاعة إلا أن السّن لا يمكن تخطّيه، فبالإضافة إلى ضعف الذاكرة والرؤية، هناك صعوبة واجهتني تمثّلت في عدم تكافئ عدد محاور الفصل الأول مع عدد محاور الفصلين الآخرين، إذ لم أتمكّن من تحقيق الموازنة فيما بينها بسبب طبيعة موضوعاتها التي فرضت نفسها.

أهم مصادر البحث ومراجعه: لقد اعتمدت على مصادر ومراجع ومقالات مجلات وجرائد لإنجاز هذا البحث، وكان أهم المصادر، مصدر "الجزائر في نظر أهلي" (l'Algérie Française vue par un indigène) لـ "الشريف بن حبيلس" «Benhebiles Cherif» وقد اطلعت على النسخة الأصلية مستعينة بالنسخة المترجمة، ويعدّ أهم المصادر لأن صاحبه كان على ثقافة عالية ودراية واسعة بواقع المجتمع الأهلي في زمانه، واعتمدت على مصدر "صوالح محمد" «Soualeh Mohamed» الموسوم: "المجتمع الأهلي شمال إفريقيا" (La société indigène: de l'Afrique du nord) بأجزائه الثلاثة، الذي أعطى صورة واضحة عن عادات وتقاليد المجتمع الجزائري وعن وضع المرأة فيه.كما استعنت كثيرا بمصدر "مالك بن نبي" الموسوم بـ "بشروط النهضة" الذي لمست فيه عمق التحليل لانحطاط المجتمعات

المتخلفة، وفستر فيه مشكلة المرأة على أنها تعدُّ مشكلة إنسانية والتي لا يمكن حلها بتقليد المرأة المسلمة للمرأة الأوروبية.

أما أهم المراجع التي خدمت البحث، فيتمثل أهمها في كتاب: جغلول عبد القادر تحت عنوان: "المرأة الجزائرية" الذي لملم بأهم رؤى وإدراك المفكرين الجزائريين الذين قصدوا الدفاع عن المرأة وتحريرها، كما بيّن من خلال دراسته الضرورة الاجتماعية والحضارية لتحرير المرأة للحاق بالمجتمعات الإنسانية المتقدمة، كما يعدّمصدر: "تاريخ الجزائر الثقافي" موسوعة"لـ" أبو القاسم سعد الله" بأجزائه الثلاثة المعتمد عليها مرجعا مهما لغزارة معلوماته وقوة تحليله لقضية تطور المرأة وتعليمها. أيضا مهم جدا مرجع "إيفون توران" الموسوم بـ" المجابهات الثقافية في الجزائر المستعمرة " Affrontements)(culturels dans l'Algérie coloniale الذي يشفي الغليل في الكيفية التي واجهت بها المرأة الجزائرية –رغم جهالتها– المسخ الاستعماري. وكان مقال زهور ونيسي بمجلة "الأصالة" متعة لقراءة ظاهرة المسخ الاجتماعي ونظرة ثاقبة في التحليل والوعظ غير المباشرين، خاصة لأنها امرأة جزائرية ذات باع ثقافي ونضالي.

خطة البحث: جاءت خطة البحث في ثلاثة فصول، حسبما أملته مادة البحث الخبرية بعد ترتيبها وتنسيقها، وقد خصصت الفصل الأول –الذي يعد فصلا تمهيديا– لمكانة المرأة في الإسلام وتحريرها من الذلّ والعبودية. ثم دراسة وضعها الاجتماعي

والثقافي والمادي في العهد العثماني، وأيضا دراسة دورها ومكانتها الاجتماعية والمادية في عهد الاستعمار الفرنسي.

كان الفصل الثاني من أهم فصول البحث إذ سنتناول فيه تعريف الفئة الأولى من النخبة الجزائرية وهي النخبة المتفرنسة، كما سنعالج في بقية مباحث هذا الفصل تعاريف شخصيات أهم هذه النخبة ومواقفها حيال المرأة ثم الأهم من ذلك موقف كل منها تجاه تعليم هذه المرأة وتطورها وهو أمر كان من طابوهات المجتمع الجزائري.

أما في الفصل الثالث الذي لا يقلّ أهمية عن سابقه . فسنخصصه للفئة الثانية من النخبة الجزائرية، وهي النخبة المحافظة، وسأتّبع فيه نفس النهج الذي سلكته مع الفئة الأولى في الفصل الثاني.

وقد ختمت هذا الموضوع بتدوين النتائج التي فرضت نفسها من خلال هذه الدراسة التي سأشفعها بملاحق تتصل اتصالا وثيقا بالموضوع.

الفصل الأول: الوضع الاجتماعي للمرأة الجزائرية قبل وأثناء الاحتلال الفرنسي:

1) المرأة في ميزان الإسلام
2) الوضع الاجتماعي للمرأة الجزائرية قبل الاحتلال الفرنسي
3) الوضع الاجتماعي للمرأة الجزائرية أثناء الاحتلال الفرنسي
4) الدور الاجتماعي للمرأة الجزائرية أثناء الاحتلال الفرنسي

الفصل الأول: الوضع الاجتماعي للمرأة الجزائرية قبل وأثناء الاحتلال الفرنسي

سأعالج في هذا الفصل وصف وضع المرأة الجزائرية في المجتمع قبل الاحتلال الفرنسي مقارنة بالمكانة التي منحها الإسلام، ثم سأتناول بالدراسة وضعها الاجتماعي إبان الاحتلال الفرنسي والإرهاصات الأولى لتفاعلها مع المجتمع بعد أن بدأت تدخل المدارس وتأخذ نصيبا من العلم.

1)المرأة في ميزان الإسلام:

إذا كان الله سبحانه وتعالى قد خلق من كل نوع زوجين، الذكر والأنثى لاستمرار أنواع المخلوقات، وإن كان في بعض الأنواع اختلاف في التركيبة البيولوجية والجسمانية فإنه قد خلق الإنسان في أحسن صورة خلقا وخلُقا وكرمه بالعقل، فالنوع الإنساني هو الآخر فيه هذا الاختلاف بين الأنثى والذكر، إلاّ أن هذا الاختلاف فيه فوائد جمّة للتكامل والرقيّ والعيش الرغيد، فعند نزول الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم عمل على تخليص المجتمع عموما والمرأة على وجه الخصوص من الجهل والظلم وأعطى حقوق المرأة كاملة غير منقوصة، ثمّ دعا إلى الإخاء بينهما، فقال[1]:"إنما النساء شقائق الرجال". إلا أن المسلمين لمّا ابتعدوا عن تعاليم الإسلام عند تقهقرهم منذ العصر العباسي الثاني بدأت تعود عندهم بعض من العقلية الجاهلية فبدأوا من جديد يميزون بين الذكر والأنثى،

---

[1]أحمد بن حنبل ابو عبد الله الشيباني: مسند الامام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، القاهرة، ج.6، نقلا عن الموقع الالكتروني للمكتبة الشاملة، (256/6، 26238).

رغم ما جاء في القرآن من نهي عن ذلك وتوجيه إلى الطريق القويم من أجل الفلاح في الدنيا والآخرة، فرغم قوله سبحانه وتعالى[1]:"مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم ۖ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ."، لعلّ التمييز هنا منعدم بين الجنسين لما يعملا صالحا، إلاّ أن الناس كانوا يميّزون بين الأنثى والذكر منذ ولادتها وقد وصف لنا القرآن شعور الأب وحالته النفسية وهروبه من الناس عندما يزدان فراشه بالأنثى، فوصفه القرآن بدقة، إذ يقول عزّ وجلّ[2] "وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ، يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَم يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ." فرغم إمكانية حصول النوع الإنساني على السعادة في الدنيا والآخرة التي لا يمكن لأي نوع من الكائنات تحقيقها، إلاّ أنه رأى في اختلاف جنسه بين الذكر والأنثى عيب وعار ينكد حياته وينغص على سعادته.

لقد سنّ الله للناس أحكاما وقوانين كثيرة وجعل لهم نواميس ليسكنوا العليّين، وأمرهم بالتراحم والتعاطف، وخاصة بين الزوجين فقال الله [3]"وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ."، إلاّ أن المسلمون ضلوا عن هديه فأصابهم الضعف والوهن لأنهم ابتعدوا عن تعاليم الإسلام خاصة منذ العهد العباسي الثاني.

---

[1] سورة النحل، الآية97.

[2] سورة النحل، الآيتان 58، 59.

[3] سورة الروم، الآية 20.

إن المساواة بين الرجل والمرأة في الأصل موجودة . رغم اختلافهما كما أسلفنا، ولما كان الرجل أقوى من المرأة بعضلاته، ثم احتكامه لما يعجبه من الآيات فقط مثل "الرجال قوّامون على النساء" أصبح يتعسف ويتسلط على المرأة ويظلمها، ويتحجج ببعض الأحكام القرآنية والأحاديث النبوية التي أوّلها وفهمها كما يحلو له، وازداد في عنجهيته بتخلّيه عن طلب العلم والركون إلى الكسل والجهل.

وإذا جئنا لتاريخ العرب القديم (قبل الإسلام بقرون)فإننا نجد المرأة العربية قد احتلت مكانة مرموقة في المجتمع وكانت محترمة ومبجّلة واحتلت المناصب العليا، مثل ما كان الحال بالنسبة للملكة "زنوبيا" التي تعدّ حياتها حافلة بالإنجازات. إلا أن احتكاك العرب بشعوب كثيرة ومع مرّ الزمن ولأسباب كثيرة مثل الغارات المتتالية التي شنتها هذه الشعوب على القبائل العربية التي كثيرا ما يقع على إثرها انتهاك للأعراض وسبي الأطفال والنساء، اكتسب العربي عادات سيئة وبشعة حتى أصبح يدفن ابنته وهي حيّة حفاظا على شرفه، وعندما جاء الإسلام نزلت في حق البنت الموءودة الآية "وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ."[1]، فعتقها وأعطاها حقّ الحياة، وقد نجد هذه الملاحظة عند الكاتب المتفرنس آيت عمر أحمد الذي ترجم مقالا عن جريدة الإسلام[2]، بعنوان« المرأة

---

[1] سورة التكوير، الآية 8،9.

[2]Ait-Ameur, Ahmed :« la femme dans l'Islam » (traduction), in, voix des humbles, février – mars, 1931, N° .96-97.

في الإسلام»، يدور ملخص موضوعه حول مكانة المرأة المرموقة- بصفة عامة- التي احتلتها عبر الرّقي الإنساني، وأما المرأة العربية- بصفة خاصة- فكانت مبجلة ومحترمة وتتساوى مع الرجل لما كان العرب في قمة مجدهم وسلطانهم وسادة السيف والقلم. أما انحطاطها (المرأة العربية) وزوال عزتها فجاء نتيجة عادات ناجمة عن فرض بعض القوانين الدخيلة على الشعوب العربية من قبل بعض الأجانب- بسبب الغزو أو الاحتكاك-، فأفسدت طبع المرأة العربية الذي يمتاز بالعزة الطبيعية والحرية. وقد خلص المترجم إلى نتيجة وهي أنه إن أراد المسلمون تحقيق نهضتهم الفعلية واسترجاع تفوقهم الضائع، واحتلال مكانتهم بين الأمم، عليهم أن يعيدوا للمرأة المنزلة الرفيعة التي منحها إياها الإسلام، ولعلّ هذا الواقع المرير الذي تعيشه الشعوب الإسلامية هو ما دفع بالشيخ محمد البشير الإبراهيمي إلى التأمل فيه حيث خاطب الناس قائلا[1]: "...أهمُّ الموضوعات، (المتعلقة بالناس) بل هي أصل الموضوعات كلها، وعليها يتوقف ، كل شيء، وعلى إصلاحها يتوقف كل إصلاح، وإن لهؤلاء الناس حدودا رسمتها الطبيعة والواقع، فمن تحدّث عنها فهو مُتحدّث عن أصل الخير والسعادة، أو عن أصل البلاء والشقاء، فالواجب على خطبائنا وشعرائنا وكتابنا أن يديروا الألسنة والأقلام في هذا المدار الضيّق، وليناولوه بالتحقيق وليعالجوه بالإصلاح، وإن أركانه لأربعة فلا يزيدون الخامس ولا

[1] محمد البشير الابراهيمي: آثار البشير الابراهيمي. ت، أحمد طالب الابراهيمي، ج. 4، ط،1 دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة، 1997، ص.263.

ينقص[1](كذا) الرابع: هي الرجل والمرأة والشاب والطفل". لعلّ ما أستخلصه من هذا القول المعبّر السديد عن حياة الإنسان أن الأصل في التكامل بين الرجل والمرأة وتربية أولادهما، ومن ثمة لا يحصل رقيّ وسعادة الخلف الصالح إلاّ بسعادة وانسجام السلف الصالح فهو مربوط به وناتج عنه.

كان للانحراف غير السويّ أثره البالغ في فهم قواعد الإسلام وقيمه الحقيقية إلى تحديد واضح للوظيفة السلبية لكل من الرجل والمرأة. ولما كانت هذه المرأة الجزائرية موضوع دراستنا وبحكم أنها مسلمة، علينا أن نذكّر بالمكانة التي حباها الإسلام. فعند ظهوره أعطى للمرأة حقوقها ومكانتها وفتح لها الآفاق وسوّى سبيلها كي تلعب دورها في بناء الأسرة والمجتمع وأخرجها من تلك الهوة السحيقة التي رمتها فيها بعض الشعوب القديمة خاصة الرومان واليهود الذين اعتبروها شرا وشيطانا واعتبروا أن مجرّد ذكر اسمها في أي محفل يعدّ قلة أدب[2]

لقد سواها الإسلام بالرجل في الحقوق والواجبات حيث جاء في سورة البقرة:[3]"...وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ."،زيادة على ذلك فبينهما علاقة المودة والرحمة والسكينة التي تعدُّ شروطا أساسية

---

[1] قد يكون خطأ مطبعيا والأصح (ينقصون) بسبب العطف.

[2] يحي بو عزيز: المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية العربية، دار الهدى، الجزائر، ص- ص، 22-23.

[3] سورة البقرة ،الآية 228.

لسعادة الإنسان، ومن ثمة يصفى عقله فيجنح للتفكير والسمو فيبدع في هذه الدنيا ويصبح بإمكانه فهم مغزى عالمه، وبسمو عقله يدرك عالمه الخارجي.

كما أعطى القرآن الكريم المرأة مكانة خاصة، فكرّس لها سورة كاملة وهي سورة "النساء"، وقد شكلت المرأة أيضا موضوع أحاديث وأقوال النبي صلى الله عليه وسلم، وفي المجتمع الإسلامي كانت المرأة تتمتع بالاحترام وتحظى بالرعاية التامة، ذلك لأنها تعدّ القاعدة القوية لخلية المجتمع (الأسرة). كانت المرأة تشارك الرجل في تحمل أعباء الحياة، في كل كبيرة وصغيرة، ونجدها قد صارعت معه هموم الدهر، وشاركت حتى في الحقل السياسي على أساس قاعدة: أن كل رجل عظيم وراءه امرأة، كما يقال فكل زعماء هذه الدول كما في غيرها وراءهم نساء عظيمات.

2)الوضع الاجتماعي للمرأة الجزائرية قبل الاحتلال الفرنسي:

كانت الجزائر من بين البلدان العربية التي أصابها الضعف حتى مطلع القرن 16م، فساءت أوضاع الشعوب العربية رجالا ونساء وكانت المرأة أكثر تضررا وأشد تخلفا بسبب العقلية التي سادت في أوساط المجتمع الذي عاد إلى جاهليته الأولى، إذ ظهرت الكثير من المؤثرات السلبية في الحياة الدينية فأصابها الكثير من الشوائب، مما جعل المجتمع يعيش في سُبات كبير وكان لذلك الأثر الكبير على حياة المرأة، فحرمت من كل شيء خاصة من التعليم.

لم يكن التعليم في العهد العثماني قويا أو مقبولا، بل كان في أدنى مستوياته، ذلك لأنه لم يكن في الحقيقة للدولة العثمانية في الجزائر سياسة خاصة بالتعليم، ولم تكن تتدخل في شؤون التعليم أصلا، حيث لم يكن يُعنيها أمر انتشاره أو تقلصه. لعل تفسير ذلك يعود إلى كون العثمانيين كانوا في أغلبهم عزابا وكون أن رؤسائهم كان أغلبهم حديثي العهد بالإسلام، قد جعلهم لا يهتمون بتعليم الأطفال.[1]

والحق أنّ التعليم في العهد العثماني كان يقوم على مبادرات الأفراد والمؤسسات الخيرية، ولم يكن مربحا ولا مرغوب فيه عند الكثيرين، ولذلك فإن ما تشير إليه المصادر من انتشار التعليم، لم يكن المقصود به إلا التعليم الابتدائي.

وإذا كان التعليم ضعيفا بصفة عامة في هذا العهد، فالأمر كان أسوأ بالنسبة لتعليم المرأة، لأنها كانت غائبة على المسرح الرسمي والأدبي ولم تكن تشارك في الحياة العامة، حيث كانت المرأة الجزائرية أحطُّ بكثير من المرأة المسيحية في نظر العثمانيين، وكانوا كثيرا ما يعتبرون المرأة الجزائرية المسلمة جارية وليست حرّة، لأن الحكام كان أغلبهم من العزاب والمغامرين، ويمكن للمرء أن يستدل بمكانة أبنائهم من الجزائريات الذين جعلوهم في أحطّ الدرجات وحرموهم في أغلب الأحيان من الوصول إلى المناصب العليا الإدارية والعسكرية في الدولة، عكس أبنائهم من السبايا المسيحيات الذين ورّثوهم حكمهم

[1] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج.1،ط.1 دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998،ص. 315.

ووظائفهم، ويدعّم قولنا هذا عدم ارتباط العثمانيين بأبنائهم من الجزائريات هو تخلّيهم عنهم عند رحيلهم من الجزائر إلى الإسكندرية بعد الاحتلال الفرنسي وإلى الأبد. لذلك فإن العثمانيين لم يكونوا يأبهون بتعلم بناتهم فما بالك باهتمامهم بتعليم بنات العامة من الجزائريين، لذلك فإن كان بعض التعليم من نصيب نسوة قلّة في المجتمع الجزائري، فإن ذلك لم يكن إلاّ استجابة لدعوة الدين في طلب العلم ومعرفة الفروض، لا إلى ترقية الحس والذوق والأغراض الاجتماعية.

أما من الناحية الاقتصادية، فوضع المرأة الجزائرية قبل الاحتلال كان سيئاجدا في عمومه،ما عدا بعض النسوة اللواتي كشفت سجلات المحكمة الشرعية وسجلات البايليك حيازتهن على أملاك عقارية متنوعة داخل مدينة الجزائر، مثل الحوانيت والدور والمخازن وغيرها، كما كان البعض الآخر منهن أملاكا خارج مدينة الجزائر، أي بفحوصها أملاكا عقارية ومنها الجنّات والأحواش وغيرها[1]، وتشير الوثائق أيضا إلى ما كانت تملكه بعض نساء العاصمة من المصوغات والجواهر وهي ذات قيم عالية، وكانت بعض النسوة تحوز على ثروات طائلة. كما تذكر هذه السجلاّت أن عددا هاما من عقود التّحبيس تخصّ النساء اللواتي أوقفن أملاكهن على جهات عديدة، كالحرمين الشريفين والمساجد والأضرحة والزوايا، ومنه يستخلص المرء أن بعض النساء كانت مكانتهن كمكانة بعض

---

[1] لمزيد من المعلومات، أنظر: عائشة غطاس: تاريخ النساء بالمغرب، ت. دلندا الأرقش، مركز المطبوعات الجامعية، تونس، 2000، ص149 وما بعدها.

الرجال في الماديات وفي الروحانيات، وتعلّقهن بالدين الإسلامي ورموزه خاصة منها الأماكن المقدسة.

إنّ الزواج هو أمر طبيعي وحق بيولوجي، بل إنه ضرورة للبشرية كي تتكوّن الجماعات وتتقوّى الأمم ويزداد العمران ويزدهر، وقد أمر النبي (ص) بذلك حين قال:" تناكحوا تناسلوا تكاثروا فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة"، بطبيعة الحال مع الحفاظ على نقاوة النسل، فلا غنى للأمة عنه ليقوى سلطانها، حتى أن الشرائع السماوية وأغلب القوانين الوضعية نجدها متفقة على وجوب الزواج وتحريم الزنا.[1]

إضافة لما للزواج من منافع، فإن المجتمع الجزائري قد عرف ظاهرة الزواج المبكر الذي يعتبر سيف ذا حدين الذي يقطع دابر العهر والفساد، ويحفظ الشاب من الانقياد للنفس الأمارة بالسوء. والحق أن ظاهرة الزواج المبكر فيها من السلبيات، حيث يشعر الشاب مثلا بعدم الاستقرار فيكمُنُه الخوف بسبب صغر سنّه، وليست الفتاة أحسن حال من الشاب، فهي تزفّ إلى البيت الزوجية وهي مبهوتة جاهلة لا تعرف شيئا عن ما ينتظرها وما تخبئه لها الأيام. فقد يكون زوجها أشيبا أو أكبر منها بسنوات عديدة، أو

[1] محمد ناصر : حمود رمضان (حياته وآثاره)، ط.2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص،.336.

ذميم الخلقة أو فاسد الأخلاق، فيكون المصير محتوما ولا مفرّ منه، فتعيش بقية حياتها إلى جانب زوج لا تطيقه، ولا تألفه وتقبل بالأمر على مضض كونه يطعمها ويكسوها[1].

أثارت قضية المرأة الجزائرية خيال وأحاسيس النخبة المثقفة بفضل ما أظهرته من ضروب الشجاعة في ميادين الصراع المختلفة ضد الاحتلال الفرنسي وقواته وسياسته الجهنمية التي أراد من خلالها إبعاد المسلمين عن دينهم وعاداتهم وشخصيتهم، فجدير بنا قبل معرفة مكانة المرأة الجزائرية في مجتمعها العودة إلى معرفة وضعها إبان الاحتلال الفرنسي.

3)الوضع الاجتماعي للمرأة الجزائرية أثناء الاحتلال الفرنسي:

وصف جل المفكرين الاستعماريين المرأة الجزائرية بأوصاف مختلفة على أنها أسيرة، مهانة، مغيّبة عن الحياة، وأن المجتمع المسلم لم يترك لها أي ازدهار وتقدم، ولم يمكّنها من أي نضج ويجبرها على البقاء في طفولة دائمة، وأن ترضى بالجهل وبالقضاء والقدر.[2]إلاّ أنه رغم ما قيل ينطبق على أغلبية نساء الجزائر إلا أن هناك حالات ظلت محتفظة في بعض الأسر الجزائرية بمكانتها الرفيعة وكلمتها المسموعة[3]، ففيها كانت سيدة

---

[1] نفس المرجع، ص. 338.

[2] محمد الميلي: ابن باديس وعروبة الجزائر، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص، 67.

[3] إحسان حقي: الجزائر العربية أرض الكفاح المجيد، ط1، دار الحداثة بيروت، 1961، ص، 203.

منزلها إذ هي ربة البيت وراعيته والحياة بينها وبين زوجها قائمة على أساس الاختصاص في العمل بحكم الخلق والاضطرار للقيام بهذا العمل.[1]

حاول الاستعمار الفرنسي تجريد الجزائريين من المقومات والمبادئ الإسلامية لتبديل دينهم ولغتهم، كما عمل على تغيير نظام حياتهم الاجتماعية بحجة أن المجتمع الجزائري كان منغلقا على نفسه مما سبب بقاء المرأة وراء الحجاب، ولمواجهة هذا المجتمع المنغلق استعمل الفرنسيون المرأة الأهلية كأداة لإنجاز جزء من مهمتهم الاستعمارية وهي تذليل الحواجز التي تفصل بينهم وبين المجتمع الجزائري واعتقدوا أن الاستيلاء على المرأة الأهلية سيضع حدا لهذا الانغلاق وفتح قنوات للتواصل بين فئتي المجتمع الأوروبي والإسلامي، ومنه وضع حدا لجميع أشكال المقاومات سواء كانت عسكرية أم دينية أو اجتماعية، والقضاء على ما أسموه التعصب ضد الفرنسة ولهذا استعملوا المرأة الجزائرية كوسيلة ضغط على الجزائريين للوصول إلى أهدافهم.[2]

لقد عانت المرأة الجزائرية من المستعمر ومن الجهل والأمية وعلى الرغم من دعوة المستعمر إلى تعليم المرأة، إلا أنه كان يرى في تعليمه لها هدف سياسي واقتصادي أكثر من غرض تربوي، لأن أغلب التعليم الفرنسي الموجه للأهالي كان تعليما مهنيا.

---

[1] رابح تركي: الشيخ عبد الحميد بن باديس، فلسفته وجهوده في التربية والتعليم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1900، ص، 325.

[2] بسام العسلي: المجاهدة الجزائرية، دار النفائس، الجزائر، 2010، ص- ص، 24-25.

والحق أن المدارس الخاصة بالبنات كانت تتمثل في نوع واحد على الرغم من أنها كانت تحمل عدة أسماء، مثل "المدارس الابتدائية للبنات الأهالي"، "مدارس تعلم الحرف" و"مدارس مهنية للبنات"، وكانت تحتوي كل مدرسة من هذه المدارس على قسم أو عدة أقسام، عكس المدارس الخاصة بالذكور. وعلى الرغم من عدم وصولي إلى مادة خبرية تمكّن الباحث من إعطاء صورة واضحة عن تعليم الفتيات في العهد الاستعماري، لذلك اعتمدت الجدول[1] المبيّن أسفله لعله يبيّن التطور البطيء لمدارس البنات منذ سنة 1898 إلى 1914 وأعدادهن الضئيلة.

السنة	عدد مدارس البنات	عدد التلميذات
1898	05	1300
1900	07	1500
1903	09	1950
1905	11	2100
1907	15	1600
1909	18	3300
1914	؟	3992

[1] عبد القادر جغلول: سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، وزارة المجاهدين، دار الأمة، الجزائر، ص.220.

من أجل توضيح الصورة عن تعليم البنات وتطور أعدادهن وأعداد مدارسهن قمت بقراءة الجدول السابق وترجمته إلى أعمدة كما هو موضح أسفله.

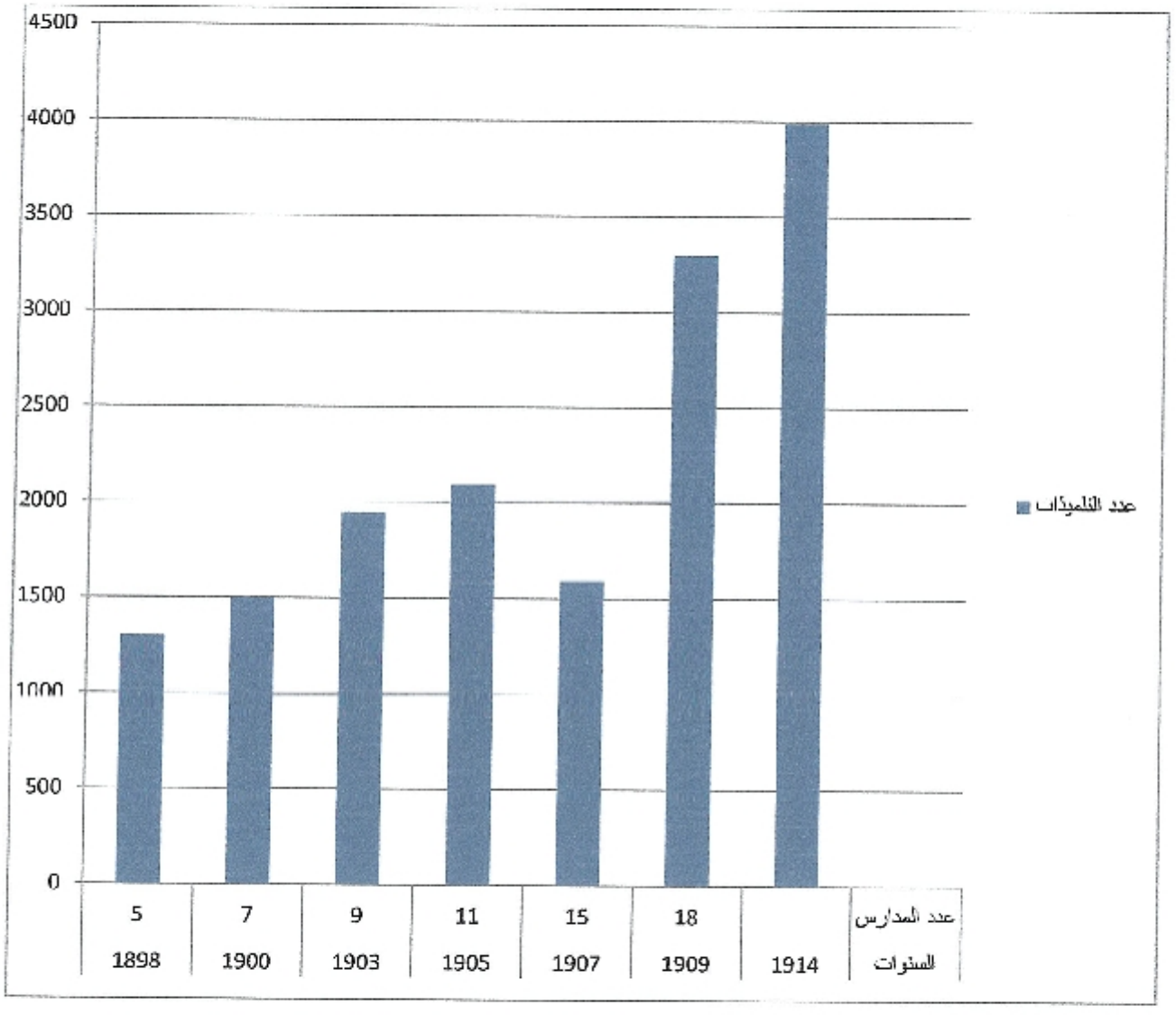

تبين هذه الأعمدة البيانية مدى تطور مدارس البنات وأعدادهن منذ 1898 إلى 1914.[1]

[1] من إنجازنا، بالاعتماد على مرجع عبد القادر جغلول.نفس المرجع والصفحة.

كما سنحاول تقريب الفهم بتقديم إحصاءات أخرى مغايرة لسنوات لاحقة.

السنة	عدد البنات	النسبة المئوية	عدد السكان في سنّ التّمدرس
1945	19804	18.20	1500000
1954	80370	26.24	2000000
1956	83818	30.76	2200000
1957	109287	31.62	2300000
1959	227428	37.31	2400000
1960	268844	37.61	2500000

إن الملاحظ للعمود المبيّن أسفله يدرك أن نسبة تعليم الفتيات بقيت ضعيفة رغم مرور أقل بقليل من نصف قرن على الإحصاءات السابقة، ولتسهيل الملاحظة نقدّم العمودالآتي[1]:

[1] من إنجازنا بالاعتماد على مرجع يحياوي مرابط مسعودة: المجتمع المسلم والجماعات الأوروبية في الجزائر (سلسلة المترجمات، الحقائق وإيديولوجيات وأساطير ونمطيات)، مجلد 1، ت. محمد المعراجي، دار هومة، الجزائر 2010، ص. 226.

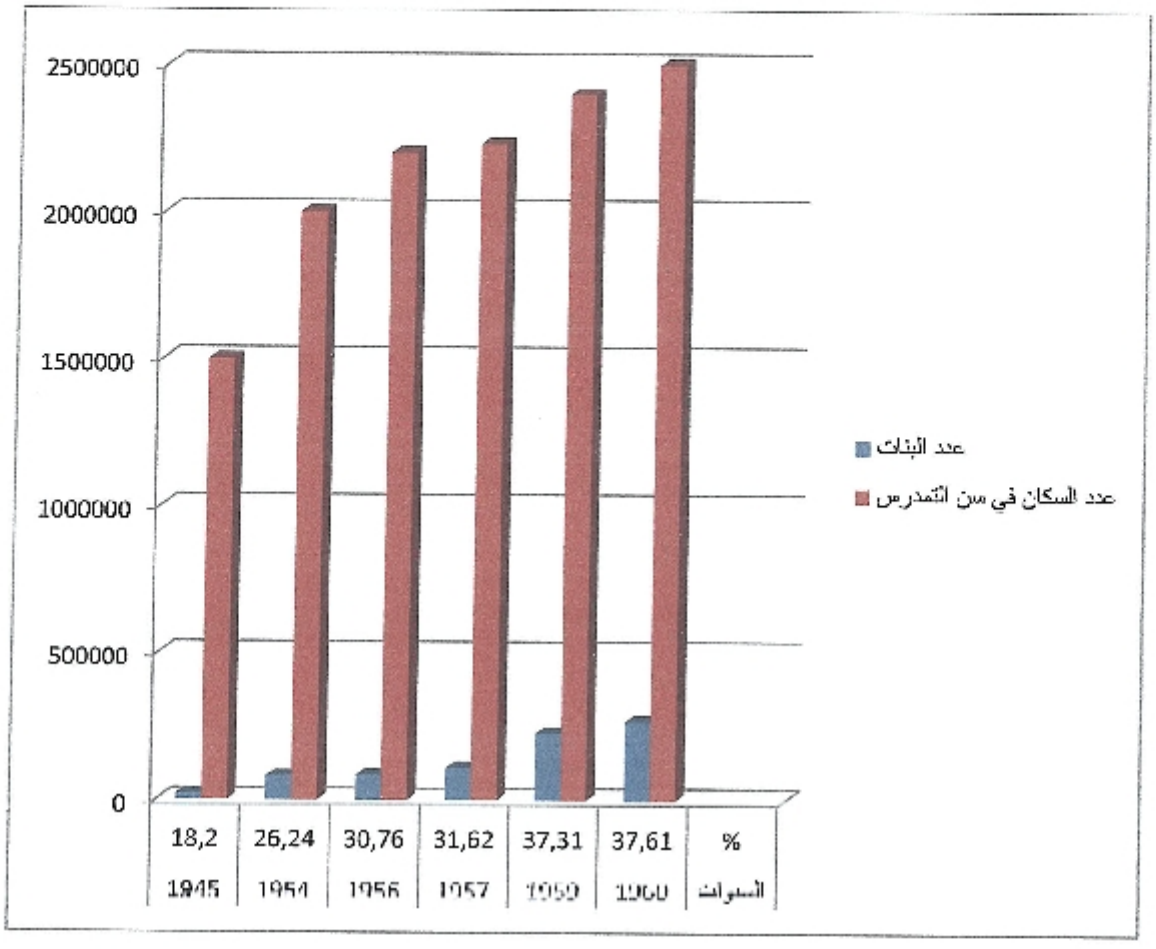

يلاحظ المرء أنه بالرغم من أن نسبة المتمدرسين كانت خلال 15سنة المذكورة في نمو متزايد، إلاّ أن نسبة البنات المتمدرسات بقيت هزيلة.

أما إذا لاحظنا نسبة فئة الإناث في التعليم العالي، فإن المرء قد يندهش لضعفها ويدرك مدى الظلم والأذى الذي لحق بحق الأنثى ومدى حرمانها من التحصيل العلمي

اللائق لها، خصوصا إذا ما قارناه بمستويات العصر. وندعم ما ذهبنا إليه بتقديم الإحصاءات التالية:[1]

سنوات	عدد الطالبات	سنوات	عدد الطالبات	سنوات	عدد الطالبات
1927	01	1946-1945	29	1954-1953	24
1937-1936	06	1947-1946	24	1955-1954	51
1940-1939	00	1948-1947	22	1956-1955	67
1941-1940	12	1949-1948	31	1957-1956	22
1942-1941	08	1950-1949	44	1958-1957	53
1943-1942	16	1951-1950	31	1959-1958	58
1944-1943	16	1952-1951	34	1960-1959	113
1945-1944	16	1953-1952	33	1961-1960	172

[1] يحياوي مرابط مسعودة، نفس المرجع، ص.241.

قد يلاحظ القارئ عن الأعداد المبيّنة في الجدول حتى أعلاها يعدُّ ضعيفا جدا إذا ما قارناه بعدد السكان الذي يعدُّ بالملايين. وللإيضاح ارتأينا تقديم المنحنى البياني الذي يمثل التعليم العالي للبنات من 1927 إلى 1961 الآتي[1]:

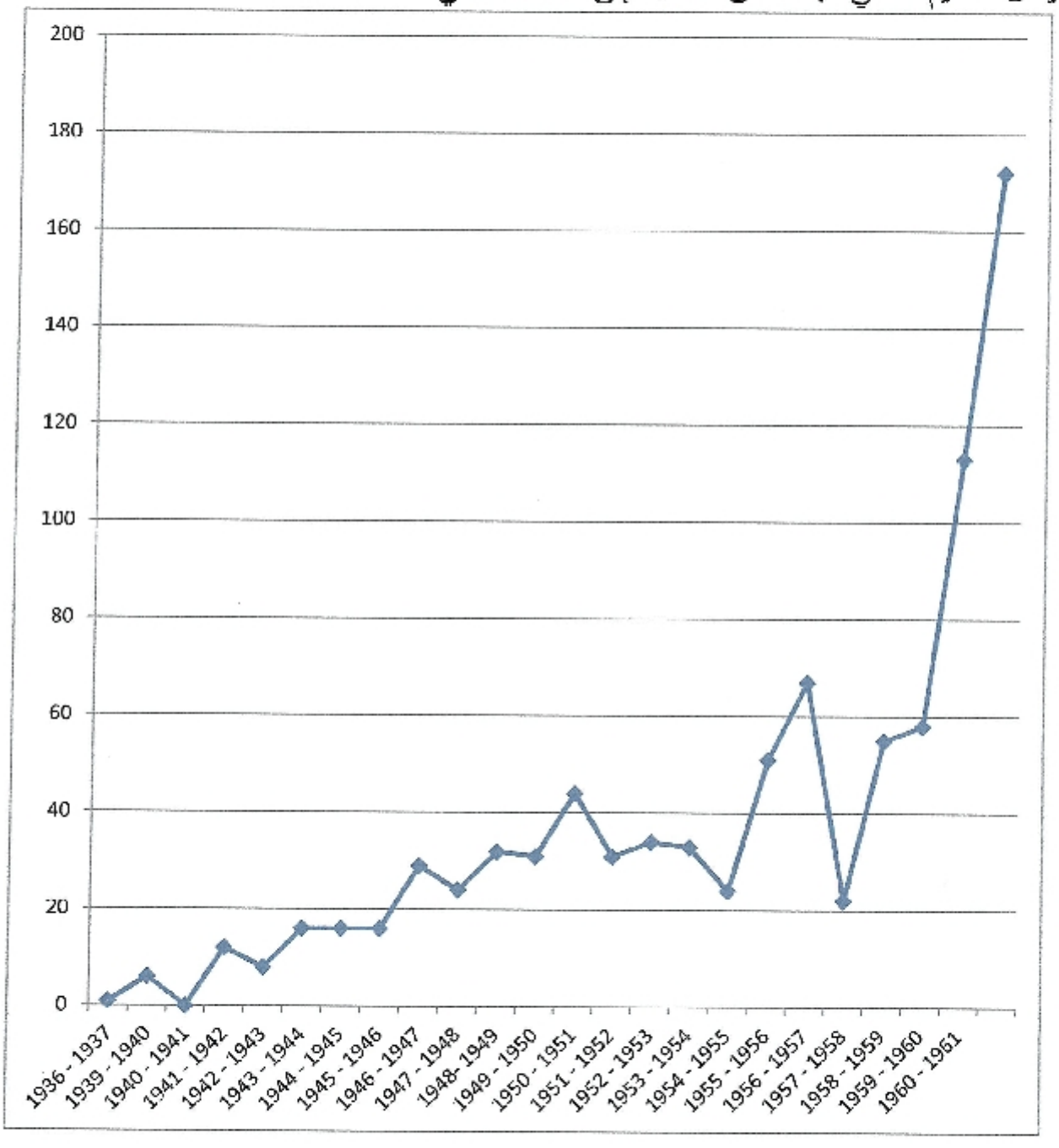

[1] من إنجازنا وباعتمادنا على احصائيات المقدمة من قبل يحياوي مرابط مسعودة.

كان المجتمع الجزائري يفرض على الفتاة الجزائرية الحضرية منذ بلوغها وبروز أنوثتها البقاء بالبيت فيحرّم خروجها ما عدا إلى الحمام والأعراس عكس ما كان في الريف فجميع النساء كن يشاركن في الحياة اليومية، لاسيما في مواسم الحصاد وجني الثمار كما كن يقُمن برعي البقر والأغنام أحيانا ويجلبن الحطب والماء الذي يكون عادة بعيدا عن المنزل. إلى جانب هذا كان من مهام المرأة الريفية القيام بصناعة ما تحتاجه من أثاث لبيتها من أواني الطبخ والأفرشة والأغطية الصوفية، كما تقوم بنسج الملابس لها ولكل عائلتها مثل البرنوس والقشابية[1]. وهناك أخريات نزحن إلى المدينة بحثا عن العمل لدى المعمرين أو بيوت الكولون لسد حاجيات أطفالها أو أسرتها.[2]

ولم يقتصر نشاط المرأة الريفية على الاكتفاء الذاتي بل كانت تساهم في الاقتصاد مساهمة فعالة، إذ كانت معظم المواد التي تدخل ضمن الضريبة العينية التي يجمعها الباي من أرياف بايلكه تُصنع بيد المرأة كالمنسوجات وخاصة الزرابي والمصنوعات الجلدية والمواد الغذائية كالكسكسي الذي كان يصل مدينة الجزائر العاصمة ضمن الدنوش[3].

---

[1] عبد الكريم بوصفصاف : المرأة الجزائرية في ولاية سطيف وتضحياتها الكبرى، 1954-1962، عمار قرفي، باتنة1997، ص، 60.

[2] يمينة بشي: مآثر المرأة الجزائرية، دار الحكمة، الجزائر سنة 2000، ص، 215.

[3] جميلة معاش :نماذج عن مكانة المرأة خلال العهد العثماني، مجلة التراث، باتنة ، العدد 08 ، نوفمبر 1995. ص.21.

أما فيما يخص مسألة الحجاب، فنادرا ما كانت المرأة الريفية ترتديه، عكس المرأة الحضرية سواء كانت غنية أم فقيرة، فكلتاهما محجبتان وإن كانت الغنية أشد محافظة على حجابها وذلك لأن الفقيرة وبحكم حاجتها إلى الاندماج في المجتمع المدني من أجل العمل والكسب تكون أقل محافظة عليه، وحجاب المرأة الجزائرية هو عبارة عن قطعة واحدة من القماش غير مخيط تلتحف به بطرق وكيفيات تختلف باختلاف الجهات ويسمى الحايك أو الساري.[1]

أما فيما يتعلق بقضية الزواج أو المهر أو اختيار العريس فلم يكن للفتاة الجزائرية عموما حق إبداء رأيها فيه، فالأهل من الرجال هم وحدهم المقررون في ترتيب وإقرار ما يرونه مناسبا لها في زواجها واستقرارها. فالبنت أو المرأة توجد في وسط محدود الآفاق تحكمه قواعد وأعراف يعمل الجميع على دعمها وترسخيها وعلى رأسهم النساء أنفسهن، لأن الأسرة هي الحامية لأفرادها وهو ما يؤكد على أن التضامن الأسري كان واقعا ملموسا وأن الطوق العائلي متين وشديد[2]، ومن مظاهر هذا التضامن مثلا: لم يكن مبدأ ضمان المرأة المالي لأحد أفراد أسرتها مرفوضا.

---

[1] إحسان حقي: المرجع السابق، ص، 205.

[2] قشي فاطمة الزهراء : الهبة ومؤخر الصداق: ممارسات قسنطينية في القرن الثامن عشر، مجلة سيرتا، عدد خاص، مارس 2000، ص،36

نظرا لتفشي الجهل في أوساط المجتمع المسلم حرم الأولياء فتياتهم من التعليم ولم يفُوا حقهن كحق إخوانهن من الذكور، خصوصا بنت الريف، وهذا الحرمان من التعليم جعلها فريسة سهلة للخرافات والبدع والسحر والشعوذة، فهي محرومة من كل شيء، فأصبحت في نظر هذا المجتمع آلة إنجاب وحسب، واقتصر نشاطها الاجتماعي حول حمل الأحجبة وحرق البخور وزيارة الأولياء والقبور.[1]

أما في المدينة فلم يكن متاحا للمرأة الأهلية مثل قرينتها الأوربية كي تُمّ ناديا عاما أو مسرحا أو محل لهو أو غير ذلك، وهذا ليس لشيء إلا لأنها محافظة على العادات والتقاليد التي ورثتها عن الأسلاف. والمرأة الجزائرية رغم جهلها الكبير كانت تمتاز بأخلاق كريمة، طيبة، فهي وفية وأمينة وصبورة ومسلمة ثابتة الإيمان على قاعدة (الإيمان العجائزي).[2]

1) الدور الاجتماعي للمرأة الجزائرية أثناء الاحتلال الفرنسي:

كانت المرأة الجزائرية تعيش عدم الاستقرار بسبب سياسة القمع التي انتهجتها الإدارة الاستعمارية إزاءها، إذ بلغ تعسّف المستعمر واضطهاده لها لدرجة متابعتها في المحاكم عند قاضي الصلح الفرنسي لأبسط الأسباب كأن تُشاهد وهي تحتطب حزمة من

---

[1] عبد الكريم بوصفصاف: الفكر العربي الحديث و المعاصر،(دراسة مقارنة بين محمد عبده وعبد الحميد بن باديس نموذجا)، ج1، الجزائر،سنة 2005، ص، 108.

[2] أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، ط3، دار الكتاب، الجزائر، 1963، ص، 338.

الغابة، كما عاملها الكولون على أنها حيوان فكان يجبرها على الأعمال الشاقة مثل حمل الأشياء الثقيلة، إضافة إلى هذه الممارسات التعسّفية من طرف المستعمر على المرأة الجزائرية، تعرضت لأبشع أنواع الظلم كإهانة كرامتها وشرفها بالاعتداءات المتكررة من قبل جنود الجيش الفرنسي بشهادة الأجانب أنفسهم، حيث قال المؤرخ الفرنسي(روبير. أجيرون)

(R.Agéron):[1]"إن النساء اللواتي كن يقعن في أيدي هؤلاء الجنود (الفرنسيين) لا يستطعن أن يهربن من قدرهن المحتوم." كماوصف المؤرخ نفسه سلوك بعض العساكر وهم يتعاركون من أجل النيل بفتاة جميلة. هذا الوضع هو الذي جعل أحد الجزائريين الذين اندمجوا في الإدارة الفرنسية وهو من العارفين وأصبحوا يقرُّون بالعقبات والمثبطات لتطور الأهالي . حسب قوله[2]:"إن شعبنا قد بلغ أقصى درجات التقهقر، وأدنى مواقع التخلف"، ثم يضيف، أنه رغم ظهور فئة من المدافعين عن تعليم الأهالي، إلاّ "أن أعداء كثيرين لا يزالون على الضفة المقابلة"، أي هناك الكثير من الكُولون المعادين لتعليم الأهالي.

ورغم هذه الوضعية المزرية التي عانت منها المرأة الجزائرية إلا أنها وقفت إلى جانب الرجل في كل الميادين، وتحملت مثله الاضطهاد أيام الاستعمار كما ساهمت

---

[1] يمينة بشي: المرجع السابق، ص، 216.

[2]Benhebiles Cherif : l'Algerie Française vue par un indigène, imp, fontana, 1914. P,32.

وبقسط كبير في الثورة التحريرية منذ انطلاقها، ولم تبخل بما كان باستطاعتها تقديمه للثورة من أعمال يستفيد منها الثوار، أو القيام بالعمل الثوري معا. كما كانت تزوّد المجاهدين بالتموين فتخبز وتغتل وتطهي الأطعمة لفرق المجاهدين[1] وأنجزت أعمالا كثيرة فامتهنت التطبيب والتمريض كما شاركت في الأعمال الخطيرة كالاستعلام ونقل الأخبار والأسلحة ووضع القنابل والدعاية والأعمال الفدائية، بل لقد حققت بطولات رائدة وفريدة من نوعها وأصبحت أنموذجا للمرأة في التحرر والتطور، بل قدّمت المرأة الجزائرية للثورة التحريرية أعزّ ما تملك وهو التبرّع بما تحوزه من أدوات الزينة كالذهب والفضة.[2]

ومن بين المجاهدات والمناضلات اللائي ضحّين من أجل تحرير الوطن وسيادته نذكر: جميلة بوعزة، جميلة بوحيرد، جميلة بوباشا، باشا زينب، ماضي فاطمة، عزيزي الزهراء، بريك الزهراء، كعبش مباركة، سياري مباركة، وغيرهن...[3]وقد قيل في حق هؤلاء النسوة: " أن الثورة كانت متغلغلة في عروقهن والوطنية ضاربة في جذورهن".[4]

لقد دفع الوضع المتردي للمرأة الجزائرية إلى تحدي جهلها وسيطرة الرجل عليها في بعض الأحيان وقمع حريتها، وإظهار مكانتها في هذا المجتمع الذكوري، والحقيقة أنه

---

[1] علي زغدود: ذاكرة ثورة التحرير الجزائرية، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، 2004، ص، 115.

[2] يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص، 114.

[3] عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق، ص، 84، 181، 402.

[4] أبو لقاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر هجري، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص، 340.

لم تكن غايتها منافسة الرجل، بل لأجل التحرر من قيود الجهل والسيطرة ولأجل إنشاء جيلا واعيا متقفا، وأن تعتمد على نفسها دون أن تكون عبئا على غيرها وبفضل إرادتها وصبرها، استطاعت أن تثبت نفسها وتمارس حريتها وأفضل مثال على ذلك "لالّة فاطمة نسومر" التي رفضت قرار والدها في الاقتران بيجيبوغلاف الذي أجبرها على الزواج منه، لكن إصرارها على عدم الزواج بهذا الشخص دفعها لعدم الامتثال له واستعملت عقلها فتظاهرت بالجنون مما اضطره إلى إعادتها لبيت أهلها بعد ليلة واحدة.[1]

وقد ظهرت سيدات أخريات فرضن أنفسهن في الميدان الثقافي والديني أمثال لالّة زينب في منطقة بوسعادة التي خلفت والدها محمد بن القاسم بعد موته في قيادة زاوية "الهامل الرحمانية"، إذ بذلت هذه المرأة جهدا في سبيل نشر الإسلام في المناطق النائية في ربوع هذا الإقليم، وتعليم القرآن للنساء وحتى للرجال ففتحت المدارس لطالبي العلم والمعرفة وقراءة القرآن، والحق أن هذه المرأة تعدّ فريدة من نوعها من حيث نشاطها الديني والثقافي الذي كان حكرا على الرجال.[2]

هناك أيضا السيدة "ماحي" التي كانت تتلقى دروسا في التوليد بمدينة الجزائر في مؤسسة فرنسية، وهي بدورها كانت تلقي هذه الدروس على تلميذاتها اللائي بلغ عددهن

---

[1] عبد الكريم بوصفصاف: جهاد المرأة الجزائرية، المرجع السابق، ص، 70.

[2] عبد الكريم بوصفصاف: المرجع نفسه، ص، 71.

ثمانون تلميذة.[1] وإلى جانب هؤلاء النسوة اللواتي أصبحن نماذج وأمثلة للمرأة الجزائرية الحرة، تظهر هناك فتيات أخريات تعلمن الحساب والطرز والخياطة عند السيدة (لوس أليكس) (Luce Alix)[2] التي شاركت هي وتلميذاتها في المعارض الفرنسية[3]والدولية في الإنتاج الصناعي التقليدي والمحلي الذي حاز على شهرة عالمية ومن بين هذه المعارض معرضا أقيم في لندن، وهو ما دفع ببعض النساء الجزائريات إلى تقليد تجربة (لوس) بل عمدن إلى تطويرها بإدخال مواد جديدة على برنامج التعليم في الورشة، وذلك بالتعرف على أساليب الطرز والنسيج في مختلف النواحي الجزائرية بل وحاولن تقليد الأساليب الشائعة في البلدان المجاورة والشقيقة كتونس والمغرب وسوريا.[4]

لقد كان من تقاليد المجتمع الجزائري منع البنت من مزاولة تعليمها بعد تجاوزها سنّ التسع أو العشر سنوات إلا أن الوعي بدأ يظهر في أوساط النساء، خاصة في منطقة القبائل بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، فبدأت بالمطالبة بإنشاء مدارس

---

[1]Turin.Y : Affrontements culturels dans l'Algérie coloniale (écoles, médecines, religion (1830- 1880), E .N.A.L. 1971. P.381.

[2] ولدت سنة 1804وهاجرت إلى فرنسا باحثة عن الأحلام الموعودة و تعلمت اللغة العربية و تعرفت على أحوال المرأة العربية.

[3] أبو القاسم سعد الله: أبحاث وراء في تاريخ الجزائر، ج5، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص-ص، 119-120.

[4]المرجع نفسه، ص- ص، 118-119.

خاصة للبنات أين بدأ بعضهن باقتحامها بحياء وتستّر، ولكن سرعان ما أخذت تزداد أعدادهن في أربعينيات القرن العشرين[1]

ليس غريبا أن نجد بعض الجزائريات بدأن في اقتحام بعض المجالات الثقافية وأصبحن ذوات صيت وشهرة مثل "زهور ونيسي" التي كانت رمزا حقيقيا للمرأة الجزائرية، فهي امرأة مخضرمة فرضت نفسها في مسيرة التاريخ الوطني، فقد ظهرت كتاباتها الأولى[2] على أعمدة الصحافة الأدبية الجزائرية قبل الثورة التحريرية وكانت أديبة ناشئة في تلك الفترة التي برزت فيها الكثير من الأقلام الوطنية من الرجال، وهناك غيرها من النساء في بعض مناطق القطر الجزائري اللائي فرضن أنفسهن في مجالات أخرى بعد مزاولتهن لدراستهن أمثال أنيسة بركات، فتيحة زعموروباية مرابط وغيرهن[3] كما ظهرت الكاتبة (روزاليا بن تامي) "Rosalia Bentami " التي كانت لها مجموعة من المؤلفات ومن بينها قصة بعنوان: "طفل القصبة" (L'enfant de la casbah)[4] ويمكن القول أن المرأة الجزائرية تأثرت بالمرأة التركية بعد قيام دولة مصطفى كامل الذي دعا إلى تحرر المرأة وتعليمها، كما تأثرت بالمرأة المصرية خاصة بعد ظهور كتابين لقاسم أمين الأول بعنوان: "تحرير المرأة" (La libération de la femme) والثاني بعنوان: "المرأة

---

[1] أحمد الخطيب: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص، 85.

[2] أنظر ملحق رقم 1.

[3] عيد الكريم بوصفصاف: جهاد المرأة الجزائرية في ولاية سطيف، المرجع السابق، ص- ص، 99-111.

[4] تحدثت عن أوضاع المسلمين الجزائريين وتبين بشكل خاص وضعية المرأة الجزائرية سنة 1936.

الجديدة" (La femme nouvelle) وكان ذلك سنة 1901م، حيث ظهرت بعد هذين الكتابين حركة نسويه تحررية مصرية.[1]

إن قضية المرأة الجزائرية قد تأخرت في طرحها إلى ما بعد سنوات الثلاثينيات وقد تناولتها أقلام النخبة المثقفة بالثقافة الفرنسية والعربية، حيث رأوا أن تطور المرأة وحريتها يكمن في تعليمها، فقد توزع المجتمع المدني من أنصار الحداثة أو دعاة التغيير لكل ما هو قديم، وأنصار المتشبثين بالأصالة أو دعاة المحافظة على كل ما تم توارثه عن الماضي. وبذلك دخل إصلاح أوضاع المرأة الجزائرية في حلبة الصراع بين الحداثيين والمحافظين وأصبح لكل واحد من الفريقين مدرسته وأدبياته، وتحول النقاش الفكري أحيانا إلى مواقف ساخنة.[2]

لقد رأى المفكرون أنه يجب منح المرأة الجزائرية جميع الحقوق وإلزامها بجميع الواجبات وإلغاء جميع أشكال التمييز بينها وبين الرجل الذي تتعرض له باستمرار، حتى تتحقق المساواة التامة بينهما، باعتبارها تمثل نصف المجتمع وأساس العائلة، حتى تستطيع القيام بوظيفتها الاجتماعية على أكمل وجه في مختلف المجالات، التربوية والتعليمية والصحية. فأخلاق الأم هي أخلاق الأمة.

---

[1] عبد القادر جغلول: المرأة الجزائرية: ترجمة سليم قسطون، ط1، دار الحداثة بيروت، ص، 19.

[2] عبد الهادي بوطالب: حقوق الأسرة وتحرير المرأة، دار الثقافة، مؤسسة النشر والتوزيع، دار البيضاء، ص. 95.

يعدُّ تعلم المرأة ضرورة اجتماعية تكفل لها معرفة حقوقها وتمكّنها من تنشئة أطفالها تنشئة حسنة كريمة تتهذّب بها عقولهم، ويروق شعورهم وليس لأحد أن يتوقع تحصيل رجال ناجحين، إن لم تكن أمهات قادرات على أن تهيئهم للنجاح[1] وليس من قبيل المصادفة أن ترتبط دعوة تحرر الوطن بدعوة تحرير وتطورالمرأة الجزائرية، وقد أدرك المفكرون الجزائريون الذين قصدوا الدفاع عن المرأة وتحريرها من الجهل كضرورة اجتماعية وحضارية من أجل اللحاق بالمجتمعات الإنسانية المتقدمة[2]. ولكي تصل إلى هذه المرتبة يجب تحرير المرأة بأمرين هما تحرير العقل والنفس معا، وتأكيدا لحقّها الاجتماعي والسياسي والإنساني في الوجود وتحقيقا لدورها في صنع الحياة على أساس المساواة بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات واختراق المجتمع الذكوري في حق المساواة والتعليم والجهاد وصناعة القرار والتاريخ إلى غير ذلك من المجالات التي كانت حكرا على الرجال[3].

---

[1] عبد الرحمان بسيسو: مائة عام على تحرير المرأة، سلسلة أبحاث المؤتمرات، ج1،المجلس الأعلى للثقافة، ص، 672.

[2] بسام العسلي: المرجع السابق، ص . ص، 24-25.

[3] فاطمة يوسف لعلى:مائة عام على تحرير المرأة، سلسلة أبحاث المؤتمرات، ج1، المجلس الأعلى للثقافة، ص، 672

الفصل الثاني: الفصل الثاني: مواقف النخبة المتفرنسة من قضية المرأة

1. مفهوم النخبة المتفرنسة
2. موقف النخبة المتفرنسة من العائلة الأهلية
3. موقف إسماعيل حامد من قضية المرأة
4. موقف محمد صوالح من قضية المرأة
5. موقف الشريف قاضي من قضية المرأة
6. موقف الشريف بن حبيلس من قضية المرأة
7. موقف فرحات عباس من قضية المرأة
8. موقف مالك بن نبي من قضية المرأة

الفصل الثاني: مواقف النخبة المتفرنسة من قضية المرأة

سندرس في هذا الفصل النخبة الجزائرية ونحاول توضيح مفهومها وتاريخ ظهورها، ومن ثمة سنعرّف ببعض شخصيات هذه النخبة مع تناول آرائها،حسب التسلسل الزمنيلموضوع تطور المرأة الجزائرية بين مختلف الاتجاهات التي شكلتها النخبة الجزائرية، فقد نجد فئة المتفرنسين هم الأوائل الذين دعوا إلى ضرورة تحرر المرأة وتطورها بإعطائها حق تلقّيها العلم والمعرفة مثل الرجل، والسبب في ذلك يعود إلى تأثرهم واستحسانهم فكرة خروج المرأة الأوروبية للعلم والعمل، وهي الطريقة التي كانت سببا في تطورها.

1) **مفهوم النخبة المتفرنسة:** إن كلمة النخبة التي تقابلها في اللغة الفرنسية كلمة (L'élite) قد اقترن مفهومها في الجزائر بمفاهيم أخرى كالمثقفين(intellectuels)أو المتطورين (Evolués) وأيضا هي مصطلحات رافقت كلمة النخبة وغالبا ما عوّضتها عند التعبير عن المنتمين إلى هذه الفئة، وهؤلاء هم من تعلموا في المدارس الفرنسية وتأثروا بالثقافة الأوروبية، وانبهروا بمظاهرها وتقاليدها، واقتنعوا بفرنسا وقوتها، واعتبروها صاحبة الحق الشرعي في الجزائر[1]، وهذا خلافا للنخبة التقليدية التي حافظت علىانتمائها

---

[1] معماش النوي: المتجنسون المسلمون الجزائريون(1865-1919)، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ ، جامعة منتوري بقسنطينة، السنة الجامعية 2000-2001، ص96 وما يليها.

الحضاري، واستمرت في اتصالها مع المدارس العربية الإسلامية، لذلك أصبح المتفرنسون هم المدافعون عن فرنسا في الجزائر، والمتحمسين الأوائل لفكرة الإدماج، فارتموا في الحضارة الفرنسية، وتجاهلوا وأنكروا حضارتهم الإسلامية حيث طالبت الغالبية منهم التجنس بالجنسية الفرنسية وأصبحوا فرنسيين من حيث وضعهم الاجتماعي والسياسي، بل بعضهم قد بلغ به التطرف إلى حد إنكار وجود الشخصية الجزائرية أصلا.[1]

لقد اهتمت هذه النخبة بوضع المرأة اهتماما متزايدا وتجلى ذلك من خلال دراستهم ومقالاتهم المتنوعة، فمنهم من كتب في تاريخ المرأة، ومنهم من تطرق إلى وضعها الاجتماعي والمادي ومنهم من طالب بتعليمها وتطورها، وذلك بالاطلاع على نظيراتها في العالم العربي الإسلامي[2]، وهي في نظرهم ضحية الدين الإسلامي القاسي الذي جعل الرجل قواما على المرأة، كما أباح تعدد الزوجات وجعل الطلاق بيد الرجل وحده وفرض الحجاب.[3]

---

[1] النوي معماش: موقف المتجنسين الجزائريين من المرأة خلال النصف الأول من القرن العشرين، مجلة الحوار الفكري، العدد 06، سنة 2004 ،قسنطينة، ص، 43.

[2]Lechani : la famille indigène en Algérie, in voix des humbles, 20 mars 1931, N°99.

[3]أبو يعلى الزواوي: جماعة المسلمين، نقلا عن أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1998، ص، 337

ويعود تأخر تطور المرأة الجزائرية وتحريرها عن زميلاتها في العالم العربي إلى كونها لم تأخذ بالأسباب والوسائل اللازمة لتحرير نفسها بنفسها، بل تعود إلى أسباب أخرى من بينها الوضع السياسي الجديد بالجزائر المتمثل في الاستعمار الفرنسي وطرائق تعليمه، إضافة إلى مجيء المرأة الأوروبية المتحررة بطريقتها الخاصة، وهو ما جعل الرجل الجزائري من المتطوّرين يتأمل في الفارق الحاصل بين المرأة الجزائرية والأوروبية. لذلك بدأ هذا الرجل محاولا إخراج هذه المرأة الجزائرية من قوقعتها والأخذ بأسباب تطورها، ومنه كان حماس الرجال لتغيير وضع المرأة متباينا، فمنهم من أرادها أن تكون نسخة للمرأة الأوربية ومنهم من كان متحفظا في بعض مناحي هذا التطور، ولمّا كان الرجل هو المبادر لهذا التطور فإنه لم يرقَ إلى طموحات المرأة الجزائرية. رغم اختلاف آراء المثقفين في تطور المرأة إلا أنهم أكدوا جميعا على إيجابية دورها، فقاموا بعقد مقارنة بين ما يتمتع به طبيعيا كل من الرجل والمرأة، فقوة الرجل وغلظته يجعلانه في كثير من الأحيان مستبدا ومتسلطا، بينما المرأة تملك الجمال واللطف الرّهيف ما يكفيها باستعمالهما كسلاح فعال يتغلب على قوة الرجل وشدته، فيصبح الرجل أُلعوبة في يد المرأة لأن سحر الأنثى ينفذ إلى أعماق أفئدة الرجال المتصلبة المغلقة فيجعل قلوبهم ليّنة متفهمة وبذلك يحصل التفاهم والتراحم.

إذا كان لتأثير المرأة سلطانا على الرجل العاقل فتأثيرها غير محدود على الطفل، لذلك ركز المتفرنسون على أهمية تعليم المرأة وتكوينها، إذ أنه شرط أساسي للنهوض بالمجتمع الأهلي لأنهم اقتنعوا بذلك من خلال تجربة حياتهم الخاصة- اندماجهم في الحياة الغربية- فعلى الرغم من تعليمهم داخل المدارس الفرنسية واحتكاكهم بالأوروبيين إلا أن زوجات بعضهم بقيت حبيسة الأوهام، وعجز بصيرتهن في ترتيب شؤون بيوتهن وتربية أولادهن، بقي ظاهرا من حيث القصور والضعف ولذلك أصروا أيّما إصرارا على الاهتمام بالمرأة، وفتح الآفاق الجديدة لها حتى تكون في المستوى ومن ثمة تكون أهلا لثقة الرجل حينما يرى أن المرأة المتعلمة هي سعادة العائلة.[1]

وكانت رغبة المتفرنسين رغبة جامحة في ازدياد عدد المدارس للأطفال لكلا الجنسين حتى تفتح لهم أبواب العلم والمعرفة، لتعمل على تحسين أخلاقهم وصقل آدابهم ولن يتحقق ذلك إلا بفرض التعليم الإجباري للبنين والبنات على حد سواء.

2) **موقف النخبة المتفرنسة من العائلة الأهلية:** لقد درست النخبة المتفرنسة وخاصة منهم المتجنسين حال العائلة الأهلية الجزائرية التي كانت في أيامهم لا تزال تعيش تحت سلطة الأب سواء كانوا من العرب أو البربر، حيث كان الأب خارج المدن

---

[1] نفس المرجع، ص- ص، 146-147.

وخاصة في الأرياف –التي لم يصلها التأثير الغربي وبقيت على ما هي عليه قبل عام1830م– محل احترام وتبجيل، فهو المسيّر والمنظّم للعمل وهو الذي يراعي متطلبات كل فرد، كما يقوم بأعمال متنوعة للصالح العام، لذلك فهو الذي يمسك بزمام سلطة لا نقاش فيها[1]. ويكون الرجل الأكبر سنا هو صاحب السلطة تعيش العائلة تحت سقف بيته أو خيمته وإن شاء يطلّق نساءه أو يزوّج أبناءه وبناته حسب مزاجه. وغالبا ما تكون عند الأب رغبة جامحة في استمرارية نسله،وعليه كان يفضل في أن يكون المولود الأول ذكرا، لذلك كان يجزل الشكر لمن يحمل له خبر ازديان فراشه بمولود ذكر لأنه خبرا سارا. أما الرغبة في ازدياد البنت عند الأهلي الجزائري حسبما ذكر المتجنس صوالح محمد[2]:« لا نحصل إلاّ إذا كان من الأولاد اثنين أو ثلاث »، والحق أنه حتى وإن حدث ذلك فلن يستريح لولادتها إلا الأم والأهل الطاعنين في السن الذين أصبحوا يدركون في حياتهم الطويلة اهتمام ومودة البنت الظاهرين أكثر مما عند الولد.

أما فيما يتعلّق بانسجام العائلة فقد يحدث أن يحاول الأبناء المتزوجون الانفصال عن العائلة الكبيرة والسلطة الأبوية، وقلما ينجح من يغادر بيت العائلة الكبيرة ويستمر في حياة خاصة مستقلة. أما الأغلبية من المنفصلين فكانوا يعودون إلى دفء العائلة رغم

---

[1]Lechani : Op.cit, p .11.

[2]La société indigène de l'Afrique du nord. Imp. La typo-litho, Alger .1937.P. 146

استمرار السلطة الأبوية، وحسب المتفرنسين فإن العناصر الأكثر نفورا وشكاية من السلطة الأبوية هن النساء المتزوجات حديثا (أي ما يعرف بالعرائس)، فرغم اختيارهن من قبل والدي الأزواج الذي يكون قد تم على أساس ربطهن بالبيت العائلي[1]، إلا أن زوجة الابن (أي العروس) لا تحب حماتها (أم الزوج) بسبب تفضيلها أن تكون سيدة نفسها، وغالبا ما تستطعن هؤلاء النسوة إقناع أزواجهن الشبان بوجوب الانفصال عن الوالدين. أما أولئك الوالدين فلا يرون في هذا الأمر إلا اختطافا لأبنائهم من بين أيديهم، ولعل ذلك ما أوحى للمتجنس لشاني[2] لطرح سؤال على النحو الآتي: ألا نجد في هذه الحالة أن المرأة الأهلية ليست هي تلك الآمة التي نتصورها؟ ثم يجيب على سؤاله بنعم ويقول[3] " إن المرأة –سواء كانت زوجة أو أما– فهي لا تتمتع بالمساواة عند الأهالي، وأقل ما يقال عن وضعها أنه مزري للغاية. ولكن مهما قيل فيها فهي محترمة ومحبوبة عند أولادها، لأن الأمهات اللائي يصبحن أرامل لا يفقدن شيء من مكانتهن رغم تقدم أبنائهن في السن، بل يبقى تسيير زمام الأمور بأيديهن، وهناك الكثير من الزوجات لهن تأثير على قرارات أزواجهن فيملين ويستخلصن التسيير الفعلي لمصالح العائلة ".

---

[1]Candide: Le progrès par le mariage mixte. in. Voix des Humbles. Janvier; 1929.N°–.70

[2]Lechani :Op, cit. p.11.

[3]Ibidem.

وقد لاحظ المتفرنسون شيوع ظاهرة الزواج المتأخر عند الأوروبيين وتقدمه عند الأهالي، فالأولاد ذكورا كانوا أم إناثا يتزوجون في سنّ مبكرة، وغالبا ما تكون بين سنّ الثالثة عشر والسادسة عشر[1]، ولذلك فلا رأي لهم في زواجهم هذا من جهة ومن جهة أخرى فالإنسان في مثل هذه السنّ لا يكون راشدا ولا يملك أحاسيس ناضجة، ولذلك فهؤلاء الشبان القُصّر يوافقون على اختيار الوالدين مهما كان بانقياد وطاعة تامين، وقد يسجل المرء إغفال بقية المثقفين من الأهالي لمثل هذه القضايا الاجتماعية الحساسة. كما سجل المتجنسون ملاحظة فيما يتعلق بزيجات هؤلاء القصّر على أنها غالبا ما تكون مؤقتة، لأن حالات الطلاق في أوساط الأهالي متفشية، فكثيرا من الرجال والنساء الذين لم تتجاوز أعمارهم سنّ الثلاثين قد طلّقوا مرتين أو ثلاث وهو أمر مذهل غير مستساغ عند المتفرنسين، عكس ما هو شائع عند بقية الأهالي المسلمين، ذلك لأن المتجنسين يتماثلون مع الفرنسيين في قضية الزواج والطلاق.

كما اهتمّ المتجنسون بظاهرة تعدد الزوجات عند الأهالي الجزائريين، وحاولوا دراستها من مختلف جوانبها، وقد لاحظوا في حياتهم أن ظاهرة الطلاق كانت مألوفة لدى المجتمع الجزائري أكثر بكثير من ظاهرة تعدد الزوجات، الذي لا يحدث حسب رأيهم إلاّ عرضا. فالمتجنّس قدور مكاسي ومن خلال مقال له موسوم بعنوان (تعدد الزوجات وحق

---

[1] يتفق كل من صوالح ولشاني في تحديد هذه السّن.

التصويت)، وبعد – شرحه للآية الرابعة من سورة النساء–، خلص إلى[1]:" أن تعدد الزوجات أمر غير مرغوب فيه وغير طبيعي وقد يؤدي بصاحبه إلى ارتكاب الذنوب، وما هو إلاّ نتاج الوسط الاجتماعي للحياة الأبيسية التي كانت سائدة قبل أربعة عشر قرنا خلت، التي لا يمكن محوها في ظرف زمني قصير."

وقد تطابقت وجهتي نظر كل من "لشاني" و" مكاسي" فيما يتعلق بظاهرة الزواج المتعدد على أنها آيلة إلى الزوال عند عامة الأهالي إلاّ عند الرؤساء منهم(Chefs Indigènes)، – وهم خصومهم الطبيعيين بالنظر إلى طبيعة ثقافة كل طرف ومركزه الاجتماعي– الذين يريدون تخليد أسمائهم عن طريق استمرار نسلهم. فهم يعيدون الزواج بمجرد الشك في عقم الزوجة الأولى، ولتأكيد قولهم على زوال الظاهرة قدموا الإحصائيات الآتية: لم يكن في سنة 1891م إلاّ 149000 أهلي ذوي الزوجتين والثلاث والأربع زوجات في الجزائر كلها، وهو رقم مرتفع نسبيا مع العدد الإجمالي للسكان الأهالي. أما في سنة 1911م أي عشرون سنة بعد ذلك، فقد انخفض هذا العدد إلى 55427 زواج متعدد. ولم تسجل المحاكم سنة 1915م إلاّ 2830 عقد زواج متعدد[2]، وفي نظر

---

[1] Voix des Humbles, sept,1936.N°. 72.p.7.

[2] Ibidem.

المتفرنسين فإن هذه الظاهرة ستتقلّص بكثير لو أن القضاة لا يسجلون عقد زواج المعنيين إلاّ بعد إجراء تحقيق يؤكد على أن الشروط الشرعية متوفرة فعلا.

ويبدو جليا أن اهتمام المتفرنسين بهذه الظاهرة وملابساتها والتشهير بمساوئها دون غيرهم –من ذوي الأصول الإسلامية– نتمُّ عن نضال محتدم أمام الإدارة الفرنسية وفئات المجتمع الجزائري، للقضاء عليها وجلب العامة نحو سلوكياتهم تمهيدا لعملية اندماج وانصهار الأجناس،وأقدم ما نجده من النصوص لدى هذه النخبة الجزائرية التي عالجت موضوع المرأة الجزائرية هذا مع بداية القرن العشرين ما كتبه إسماعيل حامد.

3) **موقف إسماعيل حامد من قضية المرأة** : هو خريج الثانوية الفرنسية، وهو ترجمان عسكري شهير، بلغ مرتبة عليا في سلم الترجمة بالجيش الفرنسي، وجال في أماكن عديدة من إفريقيا، مثل المغرب الأقصى، حيث دعا من هناك فرنسا سنة 1900م لاحتلاله لأنه أصبح فرنسيا قلبا وقالبا، لذا جاءت مؤلفاته باللغة الفرنسية، وقد ألّف أعمالا هامة في الأدب والتاريخ والجغرافيا واللغة، ويعتبر أكثر إنتاجا من زملائه المتفرنسين كما كان من أنشط أعضاء التحرير بجريدة "المبشر" وجريدة "الأخبار" الفرنسيتين ومن أهم مؤلفاته كتابه "المسلمون الفرنسيون لشمال إفريقيا" وهو كتاب هام لكل باحث في تاريخ الجزائر المستعمرة، خاصة فيما يتعلق بالناحية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وقد نشره سنة 1906 بباريس. كما قام بنشر عدة أعمال لمؤلفين أفارقة مثل ما فعل مع كتاب" نور

الألباب" للشيخ "عثمان دان فوديو" المشهور بين علماء الإسلام، كما نشر بحوثا هامة عن الأدب العربي الصحراوي، وعمل أيضا على تحليل مجموعة من المخطوطات منها: "الشموس الأحمدية " و"هداية الطالب" و"الطرائف". ونشر حامد أيضا بحثا عن الحضارة العربية في إفريقيا الوسطى، وقدم بحثا عن المدن الصحراوية كـ "تومبكتو" و"شنقيط" و"ولاته" وغيرها، ولم يكن حامد مترجما ومؤلفا وصحفيا فحسب، بل كان أيضا محاضرا فهو الذي ألقى سنة 1908سلسلة من المحاضرات تناولت مواضيع تاريخية واجتماعية متنوعة.[1]

لقد نصب إسماعيل حامد نفسه سنة 1906مناضلا من مناضلي الاتجاه النسوي الذي كان في أوج نشاطه في أوروبا خلال هذه الفترة، لذلك رأى إسماعيل حامد أنه من الضروري للمرأة أن تتعلم لأن للتعليم دورا هاما في مجال ترقية وضعية المرأة الجزائرية[2] التي تعدّ منحطة مقارنة بالمرأة الأوروبية. وحسبه فإن هذا التعليم يجب أن يكون في إطار الثقافة الفرنسية، لكي تستطيع المرأة الجزائرية المشاركة في الحياة العامة، والسبيل إلى ذلك هو تحقيق درجة ارتقاء الرجال من الوسط الأهلي على الرغم من أن

---

[1] الزبير سيف الاسلام: تاريخ الصحافة في الجزائر، ج5، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، سنة، 1984، ص، 96.

[2] Merad Ali:le réformisme musulman en Algérie de 1925à1940, édit, Mouton, Paris, 1967, p.p.316, 317, 321.

حامد يرى ضرورة تعلم المرأة الجزائرية وكسر كل القيود الاجتماعية، غير أن من رأيه أيضا أن تبقى المرأة تحت سلطة الرجل، لأنه ليس لديها من الكفاءات ما يؤهلها للعب دور فعال وناجح في الحياة العملية، فهي غائبة عن الحضور في مجال الصناعة والفنون، ولا يمكن الاعتماد على جهد المرأة من أجل ترقية المجتمع الأهلي ويستدل بتجربة علماء الاجتماع التي تقول[1]:" أنه لم يكن للمرأة أي دور فعال وفاعل في تطور أغلب الأجناس" ويرى أن أنانية الرجل هي فقط التي حطمت كرامة المرأة.

4) **موقف محمد صوالح من قضية المرأة:هو** من مواليد 1873بفرندة، التحق بالمدرسة الفرنسية العربية بمسقط رأسه وتحصل على شهادة التأهيل للالتحاق بمدرسة المعلمين (النورمالية) (l'Ecole Normale) ببوزريعة، وتحصل على شهادة "البكالوريا" سنة 1894،ومن المدرسة العليا تحصل على دبلوم في الآداب سنة 1898، وقد تلقى تعليمه على يد أساتذة كبار أمثال "رينيه باصييه"(BASSET Renier)، فلا غرو أن يصبح من كبار المتفرنسين وكبار المفكرين[2].

---

[1] الطاهر العمري: النخبة الوطنية الجزائرية (مشروع المجتمع 1900-1940)، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 2003-2004، ص- ص، 397-398.

[2]أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج.6، المرجع السابق، ص.173.

لقد انبهر "صوالح" بمظاهر الحضارة الغربية وتفوقها، ولذلك أصبح الخادم الوفي والمتفاني للإدارة الفرنسية، وقد آمن بأحقية فرنسا في الوجود بالجزائر، فدافع عن ذلك بكل ما يملك، ودعا لإدماج الجزائر بفرنسا، أرضا وشعبا، حتى يتسنى للأهالي المسلمين الارتقاء إلى مصاف الشعوب المتقدمة[1]. إن الأستاذ صوالح عاش في بداية النهضة الجزائرية المليئة بالتغيّرات خاصة الثقافية منها[2]، لذلك كان ديناميكيا فكان عضوا بالجمعية التاريخية التي كانت تنشر المجلة الإفريقية المشهورة، كما ترك أعمالا كثيرة ومنها كتب ومؤلفات، أهمها: "طريقة عملية لتعليم العربية الفصحى"، "الجزائر من دون تاريخ"، "طرق تدريس العربية النظامية"، "الملحق المعرب"، و(l'auxiliaire de l'arablsant) وغيرها الكثير[3].

باستقراء ما جاء في كتاب محمد صوالح "المجتمع الأهلي لشمال إفريقيا" (la société indigène de l'Afrique du nord) الذي جاء في ثلاثة أجزاء، نجد أنه

---

[1] عبد القادر حلوش: السياسة الاستعمارية التعليمية الفرنسية في الجزائر (1871-1914)، إشراف محمد خير فارس، ص.203.

[2] عبد القادر جغلول:تاريخ الجزائر الحديث (دراسة سوسيولوجية)، ت، فيصل عباس، ط.2 ، دار الحداثة، بيروت، 1982. ص. 68.

[3] خمري الجمعي: حركة الشبان الجزائريين (1900-1930)،إشراف، د. حماد حسين، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، 1993-1994، ص.49.

قارن بين مجتمع تونس ومجتمع الجزائر في تطور الذهنيات والعادات المتصلة بعلاقة الرجل مع المرأة ، فيقول:" حدثني أستاذ فرنسي أنه تناول الغداء في تونس مع أسرة عربية، وكان جالسا إلى الطاولة بين المرأة وابنتها وكانت الأمور تسير تماما كما في الوسط الفرنسي." وقد عدَّ صوالح أن هذا السلوك يعبّر عن التطور الذهني للمرأة التونسية نتيجة نشر التعليم في المجتمع التونسي مما أدى إلى تطور وضعية المرأة، والتي بدورها تؤثر في تربية الأولاد، وتساهم في ترابط وتكافل النسيج الاجتماعي.

وعلى هذا الأساس طالب محمد صوالح بتهذيب روح المرأة المسلمة وحمايتها من أنانية الرجل، كما ركز على ضرورة تعميم مدارس للبنات على كل القطر الجزائري الحضري والريفي، وفي هذه المدارس تعلم معلمات لا يختلفن في ثقافتهن عن المعلمين الأوروبيين. كما عدّد النتائج الايجابية لهذا التعليم بقوله: "عندما تتخرج البنت من المدرسة تقوم هي بنفسها بممارسة تأثير داخل وسطها العائلي، ولا يخفى على أحد أنه لكي يحدث التطور الحقيقي والنهائي في الظروف المادية والمعنوية لحياة المجتمع، لابد من قيام المرأة مثلها مثل الرجل بدور فعال، لأن المرأة في النهاية هي السيدة في المنزل، وطالما لم تقم المدرسة بتنوير عقل المرأة الأهلية ولم تقم بتهذيب سلوكها وعواطفها، فإن عملنا باتجاه الحضارة سيبقى في السطح وليس في الأعماق." كما انتقد صوالح بعض العادات

والتقاليد غير المرغوب فيها مثل عدم السماح للخطيب برؤية خطيبته أو العكس إلا ليلة الدُّخلة.[1]

5) **موقف الشريف قاضي من قضية المرأة** :عرف شريف قاضي باسم "الكولونيل الحاج قاضي"(le colonel hadj cadi) وهو خرّيج ثانوية الجزائر والمدرسة التقنية، وهو برتبة قبطان رائد (capitaine commandant) بالفيلق الثالث بالمدفعية بـ "بنزرت"، ويعود أصله لعائلة عربية من بني هلال،حيث كان من أحدأفرادها وهو سي أمبارك بن كبلوط، الذي أسس زاوية بالقرب من خنشلة التي دفن بها عند وفاته، كما أن وجود ضريحه بالمنطقة كان محطّ احترام الناس له، وكانت هذه العائلة تتوارث مهنة القضاء الإسلامي، وهذا ما يفسر لقب العائلة (القاضي) فيعد اسما على مسمى. وله أربعة إخوة كلهم محصّلون على وسام الشرف وكلهم قضاة، وهو أيضا قاضي الشريعة الإسلامية بمدينة قسنطينة وتجنّس الحاج قاضي عام 1889م بقسنطينة.[2]

والحاج قاضي هو الضابط الجزائري الذي أرسلته السلطات الفرنسية إلى مصر في مهمة لمعرفة الطلبة الجزائريين الذين كانوا يدرسون بالأزهر الشريف، وقد قدم تقريرا مفصلا عام 1916م تضمن أسماء الطلبة وبلدانهم التي ينتمون إليها، كما كتب عن

---

[1] الطاهر العمري: المرجع السابق ، ص- ص، 403- 404.

[2] الزبير سيف الإسلام: المرجع السابق، ج5، ص، 96.

أوضاعهم المادية وميولهم السياسية والإيديولوجية. ثم أرسلته السلطات الفرنسية إلى الشريف حسين زعيم الثورة العربية في نفس السنة لتهنئته باسم فرنسا وتقديم العون له.[1]

يرى الشريف حاج قاضي أن قضية حرية المرأة الجزائرية وتطورها تكمن في تفضيل فكرة تعلم المرأة الجزائرية بالفرنسية وتقليدها للمرأة الغربية في السلوك واللباس والعادات[2]، وقد جاءت أفكاره متشابهة ومستمدة من أفكار الطاهر حداد[3] هذا الأخير الذي أخذ منحى في تفكيره بحرية المرأة في تيار المدنية الغربية إلى ما يخرجها عن حدود دينها ووظيفة أنوثتها، كما دعا إلى إبطال أحكام عديدة من أحكام القرآن الصحيحة وتعطيل آيات عديدة من آياته بدعوى أنها غير لائقة بالنساء في هذا العصر.[4]

يرى الحاج قاضي في مسألة اللباس أنه في البداية لابد من احتفاظ المرأة بحجابها خصوصا بالمدن ثم ستختفي هذه العادة شيئا فشيئا عندما تختفي الأسباب التي أوجدتها، باعتبار أن المقصود من حجاب المرأة هو حمايتها من أذى الأغراب، واختفاءه يتوقف على تحلي الرجال بالآداب في معاملة النساء، ويضيف حاج قاضي أنه بفضل

---

[1] أبو القاسم سعد الله: المترجمون الجزائريون وإفريقيا، مجلة الثقافة، عدد 113، سنة 1996، ص، 34.

[2] محمد زرمان: معالم الفكر السياسي والاجتماعي عند الشيخ البشير الإبراهيمي، مطبعة، عمار قرفي، ص، 199.

[3] الطاهر العمري: المرجع السابق، ص، 339.

[4] طالبي عمار: أثار الإمام عبد الحميد بن باديس، ج5، ط1، دار البعث، قسنطينة ص، 446.

فرنسا يمكن أن يتحقق حلمنا في رؤية رجال مسلمين ومواطنين فرنسيين يمنحون نساءهم فرصة العيش في كنف الحرية والسعادة، وأن يتم استلهام كل ذلك من القرآن الكريم، الذي يأمر بحسن معاملة المرأة، كما يرى ضرورة التدرج في تطوّر المرأة بواسطة تعليم الرجل نفسه واقتناعه بضرورة تعليم زوجاته وبناته، وهي المرحلة الأخيرة في الطريق الطويل والشاق الذي تتحول فيه المرأة من بدوية تعاني الشقاء إلى امرأة حرة تتقاسم مع شقيقاتها الأوروبيات الحياة العادية، ويعتبر قاضي أن تحسين وضع المرأة الحضاري هو أفضل وسيلة للتقريب بين العنصر الجزائري والأوروبي.[1]

6) **موقف الشريف بن حبيلس من قضية المرأة:** ولد عام 1885من عائلة فلاحيه ميسورة بقرية "بني عزيز" حاليا وهي "شوفراي"(Chevreuil) سابقا، وفي مطلع القرن العشرين التحق بما يعرف "مدرسة" (Mederssa) قسنطينة، وقد وجد بها كوكبة من المثقفين اللاّمعين المسلمين الذين سيكون منهم كبار الشيوخ أمثال عبد القادر المجاوي ومحمد المولود بن الموهوب، وفي النهاية تحصّل على دكتوراه في الحقوق وهي الشهادة التي جعلته يتبوأ منصب قاضي الصلح بمدينة ذراع الميزان التابعة لولاية تيزي وزو (حاليا)، إضافة إلى أنه أصبح فرنسيا بعد تجنسه بموجب قانون التجنيس المعروف بقانون "السيناتوس كونسولت" لعام 1865. كما أصبح أمينا عاما لودادية القضاة

[1] الطاهر العمري: المرجع السابق، ص-ص، 339-400.

الجزائريين، وأمينا عاما لـ" اتحادية النواب" بمقاطعة قسنطينة، ويعد أحد رواد الحركة التي أصطلح عليها بـ"حركة الشبان الجزائريين"، كما كان عضوا بجمعية صالح باي، ومن أهم مؤلفاته كتابه المشهور "الجزائر في نظر أهلي" الذي عالج فيه المسألة الأهلية عن دراية واقتدار.

كان موقفه تجاه تعلّم المرأة الجزائرية وتطورها مغايرا لكثير من الكتاب، ويعود ذلك إلى تعليمه وتكوينه الغربي الفرنسي وتجنّسه، حيث شرب من معين الحضارة الغربية وأصبح يؤمن بثقافة انصهار الأجناس. كان في نظره أنه مع مرور الزمن ستتكون نخبة جزائرية يسكنها حب الثقافة الفرنسية وستكون متفتحة على منجزات الحضارة الغربية وقيمها في العلم والعمل، فقد أكد بقوله[1]:"إن التجنّس الذي أقدمت عليه كل هذه النخبة عمل شجاع لأنها تواجه إشكالية دينية، وأفرادها يجعلون من الشأن الديني مسألة فردية وما واجهوه مما نحن بصدده يثبّط المتجنسين كثيرا خاصة بعد أن تثبّطهم صنوف من العوائق وعلى رأسها عائلاتهم التي تتنكّر لهم.' فحسب رأيه، رغم هذه المثبطات الكثيرة، إلاّ أن هذه النخبة الأهلية سيصل حبها للحضارة الغربية إلى حد عبادة المجتمع الفرنسي، خاصة في الجانب المتعلّق بحرية المرأة، ذلك أن العائق الديني بالنسبة لهذه النخبة قد

---

[1]Benhebiles Cherif : Op. cit. p.97

تجاوزته، فهي لم تعد تتأثر بالخطب الدينية وهاجرت ممارسة الشعائر الدينية، ومنه سيأتي اليوم الذي نقبل فيه بالقوانين الفرنسية وترفض قوانين أسلافها مثل فئة المتجنسين، وسيصبح لهذه النخبة هموما أخرى غير الاهتمامات الدينية التي تعتبرها مجرد أشباح لا وجود لها.

يخلص ابن حبيلس إلى تأكيده على ضرورة تعلّم المرأة الأهلية وتحررها من الوضع الخامد والمخزي الذي تعاني منه دائما وأصبحت مجرّد آمة تقوم بجميع الأعمال الشاقة، إضافة إلى نظام الخماسة التي تُعتبر ضحيته الأولى قبل الرجل[1].

7) **موقف فرحات عباس من قضية المرأة** : هو واحد من الشخصيات السياسية البارزة على الساحة الوطنية خلال القرن العشرين، اشتهر بنضاله السياسي الطويل قبل عام 1954، ثم اندمج في ثورة نوفمبر المباركة بعد أن فشلت كل المحاولات السلمية التي بذلها من أجل نيل الحقوق في إطار الشرعية الفرنسة.

ولد فرحات سنة 1899ببلدية الطاهير ولاية جيجل من أسرة ريفية ميسورة الحال إذ كان والده مقربا من فرنسا التي ولّته منصب "القايد" الذي شغله مدة طويلة حتى تقاعد سنة 1928، وقد حظي فرحات عباس باهتمام والده الذي أرسله للتعليم في المدارس

---

[1] الطاهر العمري : المرجع السابق، ص –ص. 298–299.

الفرنسية. فكان تعليمه الابتدائي بجيجل والثانوي بسكيكدة وقسنطينة، والعالي بالجزائر العاصمة حيث تخرج صيدليا سنة1932.

كان فرحات أثناء دراسته الجامعية طالبا نشيطا لامعا وعضوا بارزا في التنظيمات الطلابية، وقد أُنتخب رئيسا لجمعية الطلبة المسلمين الجزائريين سنة1926م. ثم رئيسا لجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا سنة 1927م ودخل معترك الصحافة في وقت مبكر، إذ عرف بمقالاته التي نشرت في "جريدة التقدم"، وقد جمعها سنة 1931 ونشرها في كتاب سماه "الشباب الجزائري" (Le jeune Algérien). كان يندد بالنظام الاستعماري ويطالب فرنسا بتطبيق المساواة بين الجزائريين والفرنسيين في الحقوق والواجبات.

منذ سنة 1933 استقر فرحات بمدينة سطيف، حيث فتح صيدلية ومن هناك بدأ معترك السياسة منذ سنة 1934 وانتخب مستشارا بلديا لمدينة سطيف ثم نائبا بعمالة قسنطينة وكان من الناشطين الأوائل في كتابة بيان الشعب الجزائري إبان الحرب العالمية الثانية، وهو من أسس حزب "أحباب البيان". وبعد اندلاع الثورة التحريرية، عملت جبهة التحرير جاهدة لانضمامه كعضو في المجلس الوطني للثورة أثناء مؤتمر الصومام 1956 ثم عضو في لجنة التنسيق والتنفيذ 1957م، ليصبح رئيسا للحكومة المؤقتة

للجمهورية 1958وبقي في منصبه كرئيس للحكومة إلى غاية 1961 ليكلف بعد ذلك بالمهام الدبلوماسية.

وبعد استقلال الجزائر سنة 1962 انتخب فرحات نائبا في المجلس الوطني التأسيسي، وعين رئيسا لهذا المجلس غير أنه وجد معارضة قوية، فقدم استقالته في أوت 1963. ليُعتقل ويُنقل إلى معتقل أدرار وأفرج عنه سنة 1965 غير أنه استمر على موقفه المعارض للنظام الجديد، فوضع تحت الإقامة الجبرية سنة1976[1]، وفي سنة 1979 أطلق الرئيس الشاذلي بن جديد سراح فرحات عباس، وأحاطه بالعناية حتى وفاته يوم 24 ديسمبر1985م، ودفن بمقبرة العالية بالجزائر العاصمة إلى جوار إخوانه شهداء الثورة. وقد ترك لنا مؤلفات عديدة منها: "الشباب الجزائري" (Le jeune Algérien) نشر سنة 1931ثم أعيد نشره سنة 1981م. وكتاب "ليل الاستعمار" (La nuit coloniale) الذي ظهر سنة 1962م. وكتاب "تشريح حرب" (Autopsie d'une guerre) سنة1980 ثم مؤلف "الاستقلال المغتصب" (L'indépendance confisquée)، سنة1984م.[2]

---

[1] سعيد بورنان: شخصيات بارزة في كفاح الجزائر 1830-1962، (رواد الكفاح السياسي والإصلاحي، 1900-1954)، ج2، ط2، دار الأهل للطباعة و النشر والتوزيع، 2004، تيزي وزو، ص- ص، 71- 72.

[2] سعيد بورنان: نفس المرجع، ص، 72.

كان فرحات عباس من الشخصيات التي تأثرت بالقيم الأوروبية وتشبع بالثقافة الفرنسية إلا أنه استطاع أن يبقى ذلك الجزائري الوطني الصادق والواعي[1] وهذا كله بفضل المرأة المسلمة الجزائرية، وهذا حسب ما يوضحه هو في كتابه "الشاب الجزائري". حيث قال:"إن النساء المسلمات في الجزائر يلعبن الدور الأساسي في مقاومة تغلغل الحضارة الأوروبية، إنهن يُعِقن وصول كل ما يأتي من الخارج، إنهن بهذه الطريقة صرن الحارسات لنمط مجتمعنا التقليدي، فبرعايتهن صقلت طفولتنا الأولى وصارت أكثر ارتباطا بالماضي وبأمجاد الإسلام المغربي القديم وبواسطتهن انتشرت الأغاني الشعبية وتقديس الأولياء الصالحين والأماكن المقدسة وكذا التعلق بقيم الإسلام وقيم شعبنا"، وكان شاهدا على هذه المرحلة في تاريخ المجتمع الجزائري.

كما أن فرحات عباس كان مدركا للبعد الذي كان بين المدينة والدوار بالريف، خاصة فيما يتعلق بموضوع المرأة[2]، حيث يقول في كتابه "ليل الاستعمار" كان بين المدينة والدوار قرون من التخلف، علينا أن نتجاوزها وليس لوحدنا، ولكن بمساعدة

---

[1] عبد الحميد زوزو: المرجعيات التاريخية للدولة الجزائرية الحديثة، دار هومة، ط1، الجزائر، 2005، ص، 22.

[2] الطاهر العمري: المرجع السابق، ص، 401.

الجماهير المسلمة...،وعلى كل واحد منا أن يرسم الطريق الجديد الذي يقودنا نحو وضع اجتماعي أكثر عدلا".[1]

إن فرحات عباس قد دعا في كتابه "الشباب الجزائري" إلى تعليم المرأة الجزائرية ويعتبر ذلك موضوعا ذو أولوية، وكان ينبغي الانطلاقة منه في مشروع المجتمع لأن تعليم المرأة له علاقة بموضوع الصحة في البيت وتربية الأولاد تربية صحيحة على الأخلاق وعلى العلم والمعرفة، إضافة إلى الدور الاجتماعي التربوي الذي تلعبه المرأة.[2]

8) موقف مالك بن نبي من قضية المرأة : هو مفكر وفيلسوف اجتماعي جزائري ولد سنة 1905 بمدينة قسنطينة بالشرق الجزائري وكان تعليمه الأوّلي بها، ثم التحق بمدرسة اللاسلكي في باريس وتخرج مهندسا تقنيا لكن تشاء الأقدار أن تحوّله عن مجال اختصاصه كمهندس تقني إلى فيلسوف اجتماعي ليدخل من هذا الباب نفسه إلى عالم الفكر السياسي والحضاري ناذرا حياته لخدمة القضايا الإنسانية العادلة، ابتداء من القضية الجزائرية إلى القضايا القومية الإسلامية.

---

[1] Abas Ferhat : La nuit coloniale, edit, Jalliard, paris, 1962, pp,46, 47 .

[2] الطاهر العمري: المرجع السابق، ص، 402.

اختار بن نبي الإقامة بفرنسا وشرع يؤلف في قضايا العالم الإسلامي ومشكلة الثقافة ثم انتقل إلى القاهرة بعد إعلان الثورة المسلحة في الجزائر سنة 1954. وبعد الاستقلال عاد إلى الوطن فعين مدير التعليم العالي عام 1967م، وبعدها تفرغ للكتابة حتى وافته المنية 1973 وترك لنا مؤلفات كثيرة منها: "مشكلة الثقافة"، "مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي"، "شروط النهضة"، "بين الرشاد والتيه"، "وجهة العالم الإسلامي"، "مذكرات شاهد القرن"، "الطفل"، "الطالب"، "الكومنولث الإسلامي"، "في مهب المعركة"، "الآفات الجزائرية" والقائمة طويلة.

إن مواكبة التطورات والتحولات بأشكالها وصورها وتعقيداتها المختلفة على مستوى وطنه الصغير والوطن الأكبر العالم العربي أكسبته قناعة، تمثلت في أن مشكلات العالم العربي لا تنحصر في الفقر والجهل والاستعمار، إذ جميع هذه الأمراض تعدّ ظواهر وأعراض لداء دفين في أعماق التاريخ وهو فقدان الحضارة. من هنا شكّلت الحضارة ومعضلاتها محور تفكيره، وهذا الاهتمام بالحضارة دفع به إلى دراسة التاريخ متأملا في سننه ومتتبعا خطوات الحضارات بحثا عن عوامل البناء والانحطاط فيها. كما فعل ابن خلدون وانتهى إلى أن أزمة الإنسان في جوهرها أزمة حضارة، ومشكلة كل شعب جوهرها مشكلة حضارية، فلا يمكن لشعب أن يفهم أو يحل مشكلته ما لم يرتفع بفكره إلى الأحداث الإنسانية وما لم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات أو تهدّمُها.

لما كان الإنسان هو العنصر الأساسي لبناء الحضارة لذلك عندما تمعّن مالك بن نبي في مشكلة المرأة الجزائرية أقرّ في قضيتها بقوله:[1]" ليست مشكلة المرأة شيئا نبحثه منفردا عن مشكلة الرجل، فهما يشكلان في حقيقتهما مشكلة واحدة، هي مشكلة الفرد والمجتمع." رغم أن مالك بن نبي من النخبة المتفرنسة إلا أنه يرفض أن تكون المرأة الجزائرية المسلمة التي كانت تلبس "الملايا" لتستر جسمها وتحتشم بها أن تسلك في سيرها الاجتماعي الطريق الذي رسمته أوروبا لنسائها متخيلة في ذلك حلا لمشكلتها الاجتماعية فإن مشكلة المرأة مشكلة إنسانية، يتوقف على حلها تقدم المدنية فلا يكون حلها بمجرد تقليد ظاهري لأفعال المرأة الأوروبية. وهل من المفيد للمرأة المسلمة المتحجبة أن نجعلها في مركز تشبه فيه الأوروبية، وهل يعد هذا تطورا؟، إن تقليد المرأة الأوروبية لم يحل المشكلة التي تعاني منها المرأة الجزائرية فهي مازالت قائمة فكل ما فعلناه هواننا نقلنا المرأة من حالة إلى حالة أخرى، بل عقّدنا المشكلة بعدما كانت بسيطة. لأننا حوّلنا المرأة المحتشمة والمتحجبة إلى امرأة سافرة ثم أن حالة المرأة الأوروبية لا تحسد عليها إذ أنها فقدت تنظيمها الاجتماعي، ومحت منه معاني التقديس للعلاقات الجنسية، وبذلك

---

[1] مالك بن نبي: شروط النهضة، ت: عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين، ط. 4، دار الفكر الجزائر، 1987، ص. 125

فقدت وظيفتها من حيث هي وسيلة لحفظ الأسرة وبقاء المجتمع، فلا يمكن أن نأخذ المرأة الأوروبية كنموذج للمرأة المسلمة فهذا خطأ كبير لا يسمح به ديننا ولا أخلاقنا.

فمن المعلوم أن المرأة الأوروبية كانت ضحية المجتمع الذي حررها، فقد قذف بها إلى أتون المصنع والمكتب وقال لها كلي من عرق جبينك في بيئة ممتلئة بالأخطاء تمسُّ بأخلاقها وتركها في حرية مشؤومة[1] ولا نرض أن تعامل المرأة الجزائرية مثل ما عُوملت به الأوروبية .

[1] نفس المرجع، ص. 128.

الفصل الثالث: مواقف النخبة المحافظة من قضية المرأة:

1. تعريف النخبة المحافظة
2. موقف عبد القادر المجاوي من قضية المرأة
3. موقف مصطفى بن خوجة من قضية المرأة
4. موقف ابن قدور من قضية المرأة
5. موقف الشيخ البشير الإبراهيمي من قضية المرأة
6. موقف الشيخ عبد الحميد بن باديس من قضية
7. موقف الشاعر محمد العيد آل خليفة من قضية المرأة

الفصل الثالث:موقف النخبة المحافظة من قضية المرأة

سنعمُد في هذا الفصل إلى التعريف بالنخبة الجزائرية المحافظة كتيار بدأ يظهر مع بداية النهضة الجزائرية أواخر القرن 19م وبداية القرن 20م، وسنعرّج على التعريف بأهم رواد هذه النخبة التي عُرف بعض أعضائها بالمصلحين . وسنعمل على تحليل مواقفها تجاه قضية المرأة الجزائرية وتطورها حسب رُؤاها المتعددة.

1) **تعريف النخبة المحافظة:** يتفق علماء السياسة على أن عبارة "المحافظ" غالبا ما تظلّل المرء لأنها تغّير معناها من مكان إلى مكان ومن زمن إلى آخر، أما بخصوص الجزائر فإن كلمة "المحافظية" تعني بقاء الحالة الراهنة لمعارضة الأفكار الغربية التي قد تدخل تغيّرات متطرفة إلى المجتمع الجزائري[1]، ولذلك يمكن تعريف النخبة المحافظة الجزائرية على أنها مجموعة من الشخصيات المتشبعة بالثقافة العربية الإسلامية التي كانت تؤمن بضرورة تكريس الهُويّة الإسلامية في أوساط المجتمع الجزائري من أجل المحافظة على كيان الأمة الجزائرية[2].لقد حاولت هذه النخبة إيجاد حل لوضعية المرأة

---

[1] أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية(1900- 1930)،ج.2، ط. 4، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، لبنان، 1992، ص ص. 145.146.

[2] عبد الوهاب بن خليف: الوجيز في تاريخ الجزائر من بداية الاحتلال الفرنسي إلى مجازر 8 ماي1945، ط1، داريني مزغنة، الجزائر، 2005، ص، 82.

المتخلفة والمتدهورة، وضرورة مسايرتها للتطور لكن مع المحافظة على شخصيتها الإسلامية[1]، فقد رأت أغلبية هذه النخبة أن تطور المرأة الجزائرية محدودا ويكمُن في تعليمها الأشياء الضرورية وأن تبقى في بيتها تهتم بزوجها وأطفالها، وسنتعرض بالدراسة في هذا الفصل لأهم شخصياتها وأهم آرائها باختلاف مواقفها.

2) **موقف عبد القادر المجاوي من قضية المرأة:** ولد عبد القادر المجاوي في تلمسان سنة 1848 من أب يدعى محمد عبد الكريم تلقى دروسه الأولية في مسقط رأسه، ثم انتقل لمتابعتها في كل من فاس وطنجة، وتخرج من جامعة القرويين بمدينة فاس وعاد إلى الجزائر وتولى التدريس في قسنطينة في الجامع الكتاني، ثم في المدرسة الحكومية وانتقل إلى العاصمة للتدريس في مدرستها العليا(الثعالبية)، كما عُين إماما وخطيبا بجامع سيدي رمضان بالجزائر سنة 1908م، وقد تخرج على يديه الكثيرين مثل حمدان لونيسي والمولود بن الموهوب، اتسم بالموسوعة في الثقافة، وكان فقيها مشاركا في الكثير من العلوم منها علم الكلام، علم الاقتصاد السياسي، والعلم التربوي، وقد بذل جهدا جهيدا في ارتقاء مستوى المجتمع الأهلي المسلم، وكانت معظم كتاباته موجهة ضد الآفات الاجتماعية والخرافات والعادات القديمة.

توفي عبد القادر المجاوي في 6أكتوبر 1914م بقسنطينة ودفن فيها تاركا وراءه أثرا طيبا في بعض الشباب في تلك الفترة وشيوخها، كما ترك مؤلفات اختلفت نوعا

---

[1] Ali Merad : op,cit, p 315.

وكيفا تجاوزت خمسة عشر عملا في اللغة والنحو والبلاغة والدين وعلم الفلك، منها: إرشاد المتعلمين، نصيحة المريدين، وشرح ابن هشام... الخ.

ويعد المجاوي في زمانه من العلماء القلائل بالجزائر الذين كانت لهم نظرة استشرافية لمستقبل البلاد الذي يعتمد على عنصر الرجل والمرأة والنهوض بالمجتمع دون الذوبان في المجتمع الفرنسي ولذلك كان متباهيا بعناصر شخصيته العربية الإسلامية، وقد عبر عن أحد هذه العناصر بقوله[1] " إن اللغة العربية هي أقدم لغات العالم المستعملة الآن وأوسعها وأفضلها على غيرها في أساليب الكلام". ومع ذلك لم يكن متعصبا لهذه اللغة جاعلا من قول الرسول (ص):"من تعلم لغة قوم آمن شرّهم" ، بل دعا عبد القادر المجاوي إلى تعلم اللغات والنهوض على الطريقة العربية الإسلامية وليس الطريقة الفرنسية، ودعا إلى تقليد الغربيين في العلوم الجديدة، وليس في كل شيء،ولم يكن مسلوب الفكر بل كان معتزا بماضيه وحضارته، ولم يكن يتكلم الفرنسية لكنه أدرك أن من سنن الله والتاريخ والحياة، التداول على العلم والقوة، فدعا قومه أن يعرفوا مكانتهم بين الشعوب لأنه كان يعرف أسباب نهوض وسقوط الأمم.[2]

---

[1] عبد الكريم بوصفصاف: الفكر العربي المعاصر : المرجع السابق، ص، 37.

[2] أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص، 220.

كانت نظرته في مطلع القرن العشرين متميزة وجريئة في الوقت نفسه، لأن الظروف العامة كانت غير مواتية وما تزال غير مهيأة لتقبل آراء مثل رأي المجاوي في قضية تحرير المرأة وحدود تعليمها ونوعية التعليم الذي تتلقاه إذ قال:" فلئن تبقى المرأة جاهلة خير من أن تتعلم تعليما ناقصا، وتُربى تربية تافهة، فالمرأة التي تظل على سذاجتها الأولى ولم تتلق شيئا من المبادئ العلمية والفنية ولم تمارس القراءة والكتابة، قد يتيسر أن تقنعها بأنها جاهلة وتقبل النصح، ثم نوجهها بلزوم الرجوع في تربية طفلها إلى رأي من هو أعرف بشؤون التربية، أما التي تعلمت تعليما ناقصا والتي لم يعطوها من العلوم سوى قراءة القرآن وكتابة أبجد هوّز حاسبين أن ذلك القدر كاف وأنه يليق بها وأحوط في سلامة دينها وآدابها وأخلاقها فإن المرأة تصبح بهذا التعليم الناقص ذات عناد ولجاجة، فلا تعود تصغي لمشورة من هم أعلم منها."

كما عدّد المجاوي سلبيات وآثار هذا التعليم الناقص قائلا." فهي (المرأة) لا تقف في إفساد تربية ابنها وتدبير منزلها فحسب،... بل تحاول تربية أولادها فتخل بقوانين التربية." أو تحسب بأن معرفتها لذلك التعليم الناقص قد جعلها أهلا لكل شيء وعالمة بكل شيء وخبيرة بكل شيء.

في النهاية يفضل الكاتب التعليم الكامل الشامل الذي يفيد المرأة في حياتها الأسرية، مؤكدا على أن المرأة لن تستطيع النجاح في تربية أولادها، ما لم تدرس في

الأخلاق وعلم النفس والصحة، وما لم تطالع الكتب التي وضعت في هذين الفنين. كما يمكنها من مراسلة المعلم في شؤون تربية الطفل ومنه نستنتج أن دعوة المجاوي مبنية على أساس وجوب شمولية المعرفة لدى المرأة حتى تستطيع أن تواجه الحياة بكل مشاكلها.[1]

3) **موقف مصطفى بن خوجة من قضية المرأة:** هو محمد بن مصطفى بن محمد بن باكير بن خوجة ولد سنة 1865أي زمن الحديث عن المملكة العربية في عهد "نابليون الثالث" وزمن صدور المرسومين الشهيرين، أولهما مرسوم تمليك أرض العرش للأفراد 1863، والثاني فتح باب التّجنّس 1865 لمن شاء من الجزائريين وفق شروط تعجيزية، ولد بن خوجة ونشأ وتعلم بمدينة الجزائر ، وكان من أساتذته "ابن الحفاف" و"أبن زكري" وقد عمل بجريدة "المبشر" الرسمية كمحرر للغة العربية وعيّن مدرّسا بجامع "سفير" سنة 1895، ومعروفا أنه كانت له مواقف لمقاومة الاستعمار الفرنسي وفي محاربة البدع بالجزائر[2]، ويعد مصطفى بن خوجة من تلامذة محمد عبده ومن الكتاب الأوائل خلال القرن التاسع عشر الذي رفع صوته ودعا إلى تعليم المرأة الجزائرية، إذ واجه بآرائه

---

[1] يمينة بشي: المرجع السابق، ص-ص، 229-230.

[2] عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط.2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، 1980، ص، 138.

المجتمع الجزائري الذي كان ممانعا في ذلك، وقد عرف ابن خوجة باتجاهه الإصلاحي واهتمامه بشؤون المرأة في كتاباته ونظرته المرتكزة على الدين الصحيح، وآرائه المستمدة من واقع الظروف الاجتماعية الجزائرية في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر.

يرى مصطفى بن خوجة أن سبب التخلف كله يرجع إلى جهل الرجال والنساء معا، بعلم الدين وفي هذا الصدد يقول:[1]" لو أننا في كل أمر سلكنا سبيل ديننا الكفيل بتشييد بناء النظام الإنساني، لما وصلنا إلى هذه الحال السيئة التي يرثى لها، لكن نبذناه وتركناه وراء ظهورنا فوقعنا فيما نحن عليه اليوم من التقهقر في جميع أنواع التقدم العصري". ويتحمل الرجل المسئولية الأولى باعتباره المتكفل بالمرأة، وهو سبب جهلها وتأخرها حسب قوله[2]:« ولكن لولا جهل الرجال وغباوتهم لما وصلت النساء إلى هذه الدرجة من الجهل والزيغ والضلال.» فالرجل هو المسئول الأول عما يصدر عن المرأة من تصرفات جاهلة غير حميدة لأنه رضي بأن تبقى جاهلة ورضخ للعرف الاجتماعي السائد الذي يزعم، بل يعتقد أن تعليم المرأة فيه فساد وخراب، فكانت النتيجة خرابٌ عليه وعلى المجتمع فلو تعلمت المرأة وتفقهت في دينها كما أمرت بذلك الشريعة الإسلامية، لما انحرفت عن عقيدتها.

---

[1] يمينة بشي: المرجع السابق، ص، 288

[2] نفس المرجع والصفحة.

لقد بين ابن خوجة بكل صراحة موقفه من تعليم المرأة وتثقيفها لإخراجها من دائرة التخلف والجهل، إلا أننا نلاحظ نظرته أو دعوته إلى تعليم المرأة ظلت محدودة الأهداف، وقد يعود هذا التحديد إلى خشيته من إثارة غضب الناس لما في دعوته تلك من جرأة وتفتح، وهذا قياسا لما كانت عليه أفكار المجتمع الجزائري في أواخر القرن التاسع عشر من جمود وتخلف، ولعل هذا ما جعل بن خوجة يوضح موقفه أكثر حتى لا يساء فهم دعوته حيث قال:[1]" وليس غرضنا من تحريض العزائم على تعليم المرأة أن تبلغ حد الرجل، إنما المراد أن تحصل المرأة على الواجبات الشرعية وحقوق الزوجية وإتقان الخياطة والسيج والتطريز وينبغي أن يكون لها إلهام بمبادئ بعض الفنون بقدر ما تصون به أمور منزلها في النظافة وحسن الترتيب وتربية الأولاد، كون الأم هي المدرسة الأولى للأطفال. كما أنه حث على قراءة الكتب المفيدة التي تحتوي على تهذيب الشيم." إن المتمعن في هذه الفنون التي يراها بن خوجة ضرورية للمرأة كزوجة وأم يؤكد أن نوعية التعليم الذي يشترطه للمرأة يجب أن يكون مفيدا وعونا لها في حياتها اليومية، لا مجرد علوم نظرية يبقى مجالها في طي الكتب. وهنا نستنتج أن نظرة بن خوجة في دعوته إلى تعليم المرأة واقعية جدا وإن بدت في الظاهر محدودة الآفاق إلا أنها نظرة تتم بعمق في وعي الكاتب بدور المرأة في الحياة العملية الذي يجب أن يكون ايجابيا إذا ما حصلت المرأة على نوع من التعليم فهي حسب إدراكه يكون حصول النساء على ملكة القراءة

[1] نفس المرجع، ص. 289

والكتابة وعلى الأدب والمعارف أجمل شيء لهن، وهو أشيق لكل الرجال من حسن وجمال المرأة. وقد تلت هذه الدعوة دعوات أخرى أكثر شمولية ونضجا وقد تطور مع تطور الظروف الاجتماعية والثقافية نسبيا.

4) موقف ابن قدور من قضية المرأة: هو صحفي وكاتب وشاعر جزائري ولد سنة 1889م بمدينة الجزائر وتعلم فيها. عُرف باتجاهه السلفي الإصلاحي وأنشأ جريدة الفاروق سنة 1913م، واهتم بالقضايا التي تعالج شؤون المسلمين في العالمين العربي والإسلامي، فنشر مقالات في صحف مصر والآستانة عاصمة الخلافة العثمانية، فأخذ عليه الاستعمار الفرنسي وصادرجريدته "الفاروق" ونفاه إلى الأغواط، حيث ظل معتقلا حتى نهاية الحرب العالمية الأولى.[1]وفي سنة 1920م حوّل جريدة الفاروق إلى مجلة، ثم اعتزل الصحافة، ولجأ إلى شبه عزلة صوفية، ومن آثاره: كتاب"الإبداء والإعادة في مسلك سائق السعادة في التصوف".

يلفت ابن قدور النظر بأفكاره الناضجة وبتحليله الدقيق للأسباب والعلل لمظاهر الفساد والتخلّف. فقد ركز على قضية جهل المرأة المسلمة الجزائرية وعن الثمرات السيئة التي يجنيها المجتمع من جهل نسائه. ورأى أن الآفة الكبرى عند المرأة الجزائرية هي

---

[1] عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، (د، ج)، ط2، مؤسسة نويهض للترجمة والنشر، بيروت، لبنان، 1983، ص، 243.

الجهل، والحق أننا لا نجد في القطر الجزائري أي اهتمام مثل ذلك الاهتمام الذي لقيته المرأة في المشرق العربي، بدليل الفارق الزمني الكبير بين بداية نهضة المرأة في المشرق وبين نظيرتها في المغرب[1]، وتأخرها الاجتماعي وبيّن حالة المرأة الجزائرية كيف تعيش في ذل واحتقار. ثم الكيفية التي تعامل بها من طرف زوجها، فهي معاملة القسوة والاضطهاد وأن العلة الرئيسية التي جعلت المرأة على هذه الحال هو جهلها بحقوقها وقصور عقلها من إدراك الحياة الزوجية.

أما السبب الذي جعل الجزائريين لا يهتمون بتعليم المرأة فهو جهلهم بأنفسهم، وكما يقول ابن قدور[2]:" قد تقرر في عقولهم أن المرأة إذا تعلّمت، أدى تعليمها هذا إلى مضار شتى، فمتى قدرت على تركيب جملة كتبت رسالة إلى زيد أو بيت شعر لعمرو، لأن النساء في طبيعتهن الخيانة والخداع، فاللبيب عندهم من يترك زوجاته وبناته يسبحن في بحر الجهالة"، ويعدّ هذا حكما مناقضا لما أمر به الله تعالى ورسوله الكريم، حيث جاء في الحديث الشريف:" العلم فريضة على كل مسلم، ومسلمة"، فجهل المرأة عند ابن قدور سبب البلوى والمصائب التي تصيب المجتمع والسوس الذي ينخره وتقيّد الجزائريين عن التحرك والانطلاق وأيضا هو العدو اللدود الذي عصّب أعين النساء وجعلهن يذهبن

---

[1] محمد ناصر: المقالة الصحفية الجزائرية المجلد الأول، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص،241.

[2] محمد ناصر: المرجع نفسه، ص، 230.

إلى بيوت النصابين والدجالين والسحرة. يقول ابن قدور في جريدته الفاروق[1]:" كانت المرأة المسلمة لسوء الحظ جاهلة، أخرجت شعبا كسولا وأنبتت نباتا خبيثا، تهيئ أفكار أبنائها إلى التواكل والخمول والكسل والجمود".

ونستنتج من قوله أن المرأة هي أساس بناء المجتمع، فإن صلحت هي صلح المجتمع باعتبارها مربية الأجيال وحاضنته. إذن فتعليم المرأة ضرورة قصوى لابد منها، حتى تنهض بهذا المجتمع المتفسخ الضعيف فيصبح مجتمعا راقيا ومتقدما.

5) **موقف الشيخ البشير الإبراهيمي من قضية المرأة ا:** لقد عرّف نفسه فقال[2]:" أنا البشير بن محمد السعدي بن عمر بن محمد السعدي بن عبد الله بن عمر الإبراهيمي نسبة إلى قبيلة عربية ذات أفخاذ وبطون تعرف بـ(أولاد ابراهم) التي تقع جنوب ولاية سطيف، ولد سنة 1889م"، وهي السنة التي ولد فيها الشيخ ابن باديس وهو أديب ومصلح ومفكر ورجل سياسة، وهو أحد أبرز رجالات الحركة الفكرية والإصلاحية في الجزائر والعالم الإسلامي في القرن العشرين، حفظ القرآن الكريم وعمره تسع سنوات، ثم أخذ علوم اللغة والدين الإسلامي على عمه محمد المكي الذي كان معروفا بالعلم والتقوى

---

[1] نفس المرجع والصفحة.

[2] في قلب المعركة، ط.1، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، سنة 1997، ص. 89.

ونظرا لتفوقه تولى التدريس لزملائه وعمره أربعة عشرة سنة، مكان عمه الذي توفي سنة1903م، وقد استمر على ذلك حتى بلغ العشرين من عمره.

وفي سنة 1911م أُستدعيَ لأداء الخدمة العسكرية الإجبارية في الجيش الفرنسي، فغادر الجزائر متخفيا ليلتحق بأبيه الذي هرب من الظلم الاستعماري واستقر بالمدينة المنورة منذ 1908م، وفي طريقه إلى الحجاز مر البشير الإبراهيمي بالقاهرة أين التقى بشيوخ الأزهر الشريف، وتعرف على مشاهير العلماء والأدباء أمثال أحمد شوقي وحافظ إبراهيم، وبعد نحو ثلاثة أشهر قصد المدينة المنورة بالحجاز، واستقر بها وتفرغ للدراسة فأخذ على كبار العلماء اللغة والدين وأقبل على مطالعة الكتب قديمها وحديثها برغبة ملحة في التحصيل، فاكتسب من ذلك معرفة واسعة في شتى أنواع العلم، جعلت منه أحد كبار علماء عصره في العالم الإسلامي.[1] وهناك تعرف بالإمام ابن باديس، وأصبحا يلتقيان لتدارس أوضاع الجزائر المتردية ويفكران في وسائل العمل من أجل النهوض بها من الهوة التي أوقعها فيها الاستعمار ورجال الطرقية.

وفي عام 1916م غادر الإبراهيمي الحجاز إلى دمشق، حيث اشتغل بالتدريس في المدرسة السلطانية وفي المسجد الأموي، وقد تخرج على يده كثير من العلماء، وفي عام 1920 عاد الإبراهيمي إلى الجزائر وبدأ نشاطه الإصلاحي والتربوي بمدينة سطيف.

---

[1] سعيد بورنان: المرجع السابق، ص، 131.

وكان على اتصال مستمر بابن باديس وعلماء آخرين وقد أدى ذلك إلى تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام 1931م، وكان الإبراهيمي نائبا لرئيس الجمعية عبد الحميد بن باديس، فأدخلته الإدارة الفرنسية السجن عدة مرات وفي مارس 1946 أطلق سراحه، فأستأنف نشاطه ثم أصبح رئيسا للجمعية بعد وفاة عبد الحميد بن باديس، وأعاد فتح المدارس التي أغلقتها الإدارة الفرنسية، وأسس النوادي والمساجد وتوفي الإبراهيمي سنة 1965م وترك لنا آثارا علمية وأدبية مختلفة أهمها:

1. عيون البصائر، مجموعة مقالات كتبها لجريدة البصائر في سلسلتها الثانية (1947-1956).
2. آثار محمد البشير الإبراهيمي جمعت في خمسة أجزاء.
3. محفوظات لم تنشر تتعلق بمواضيع لغوية وأدبية منها: أسرار الضمائر العربية.
4. التسمية بالمصدر.
5. الأطراد والشذوذ في اللغة.
6. كاهنة الأوراس/ رواية...الخ.[1]

اهتم البشير الإبراهيمي بقضايا الأسرة ومشكلاتها كما عالج قضية المرأة الجزائرية التي كانت مطروحة على الساحة العربية الإسلامية في العصر الحديث، وكان

[1] نفس المرجع، ص ص، 149-133.

من أوائل المفكرين العرب الذين دعوا إلى تحرير وتطور المرأة، فأكدوا على أهميتها في المجتمع، وأهميتها في التغيير فهي من الناحية الكمية تساوي نصف المجتمع، وتمثل الجناح الثاني فإذا أراد المجتمع أن يتنصل من رواسب الجهل والتخلف والفقر وأن يطير نحو الكمال والازدهار فلا يتم له ذلك إلا بجناحين. يقول الإبراهيمي في هذا الشأن[1]" الأمة كالطائر لا تطير إلا بجناحين وجناحاها هما الرجل والمرأة فالأمة التي تخص الذكر بالتعليم تريد أن تطير بجناح واحد، فهي واقعة لا محالة". ويعدّ هذا التشبيه في محله وهو تحليل واقعي وملموس لكل امرئ عاقل.

أما أهمبتها في التغيير فتتمثل في كونها الإنسان الأقرب إلى الطفل، وهي من تلقنه الأخلاق والعادات والسلوك أي أنها هي التي تشرف في تكوين شخصيته وبالتالي هي المسئولة عن الأجيال الجديدة، والمؤتمنة على مستقبل الأمة فإذا تم إعدادها إعدادا صحيحا جاء الجيل مستقيما وبذلك تكون قد ساهمت في تفعيل عملية التغيير.

كان الإبراهيمي يدرك الدور الفعال الذي يمكن أن تلعبه المرأة في تغيير المجتمع عن طريق نبذ العادات السيئة والقضاء على الأفكار الخرافية التي تقيد العقل فيقول.[2]" أن المرأة لَنِعْمَ العون في الإصلاح الاجتماعي، ومادام عقل المرأة لم يرتق إلى معرفة الحقائق

---

[1] محمد البشير الإبراهيمي : آثار الإبراهيمي، المرجع السابق، ص. 170.

[2] نقلا عن محمد زرمان: المرجع السابق، ص. 204.

وأملنا هو إصلاح هذه الحالة والمرأة هي نصفنا الضعيف شئنا أم أبينا." وعلى هذا الأساس يرفض الإبراهيمي بشدة الطريقة التي انتهجها الغرب في قضية تحرير المرأة عندما أطلقوا لها العنان في كل الميادين وهذا ما انعكس سلبا على المجتمع الإنساني.

وفي إطار الدفاع عن حقوق المرأة المسلمة واجه الإبراهيمي الدعوات التي تستهدف الإسلام، وتتخذ قضية المرأة ذريعة للطعن فيه والتقليل من شأنه، عندما أشاع الغربيون أن الإسلام عدو المرأة وهو من أهان كرامتها فدافع الإبراهيمي عن الإسلام والمرأة مستندا إلى الأحكام الشرعية الخاصة بالمرأة. فهو يؤمن بحرية المرأة وتطورها عكس المنظور الغربي الذي أراد إخراج المرأة الجزائرية عن دينها ودعاها للتمرد عن تعاليم الشريعة الإسلامية والتحرر من أخلاق أمتها، ومنه كانت جهوده العلمية تصب في هذا الاتجاه.

لقد عمل الإبراهيمي على تعليم المرأة الجزائرية وتثقيفها وترقيتها وتهذيب طبائعها وطباعها وفقا للقيم الإسلامية، وبعد الحرب العالمية الثانية، تقدم البشير الإبراهيمي إلى الحكومة الجزائرية بتقرير أقرته جمعية العلماء المسلمين بتاريخ 5 أوت 1944م حول تعليم المرأة.[1] ومنه نستشف أن الإبراهيمي يؤمن بتطور المرأة في إطار القيم الإسلامية.

---

[1] سعد فهمي: حركة عبد الحميد بن باديس ودوره في يقظه الجزائر، دار الرحاب للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ص،

6) موقف الشيخ عبد الحميد بن باديس من قضية المرأة: هو رائد النهضة الفكرية والإصلاحية في الجزائر. ولد سنة 1889 من أسرة عريقة ومشهورة بالعلم والثراء والجاه، وكان يفتخر بجده المعز بن باديس مؤسس الدولة الصنهاجية الإسلامية الأمازيغية في القرن العاشر الميلادي.

دخل ابن باديس المدرسة القرآنية فحفظ القرآن الكريم على يد الشيخ محمد المداسي وأتم حفظه وهو في الثالثة عشر من عمره، ثم تلقى مبادئ العلوم العربية والإسلامية على يد الشيخ حمدان لونيسي وهو الذي أوصاه بأن لا يقترب الوظيفة، وأن لا يتخذ علمه مطية لها وقد عمل ابن باديس بوصية شيخه فعاش حرا لمبادئه ورسالته الإصلاحية التي امن بها وأفنى حياته في سبيلها.

سافر ابن باديس عام 1908م إلى تونس لإتمام تعليمه والتحق بجامع الزيتونة حتى نال شهادته عام 1912، وفي عام 1913عاد إلى قسنطينة وعمره أربعة وعشرون عاما، فشرع بالتدريس في الجامع الكبير، يبث من خلاله أفكار الإسلام الصحيحة التي توقظ العقول وتحرر النفوس وتحارب كل الأفكار البالية التي كان رجال الطرق الصوفية ينشرونها باسم الإسلام، وقد تفطنت سلطات الاستعمار لخطورة دروسه فأوقفته فغادر الجزائر إلى الحجاز لأداء فريضة الحج والاستزادة من العلم، وقبل عودته

إلى الجزائر زار عبد الحميد بعض البلاد المشرقية، مثل: سوريا ولبنان وفلسطين ومصر حيث اجتمع برجال العلم والفكر والأدب.

عاد إلى الوطن في عام 1918 ليناضل بالعقل والقلم واللسان في ميادين عديدة حيث كرّس حياته للتربية والتعليم. بداية بالجامع الأخضر بقسنطينة ثم امتد نشاطه إلى المدن الجزائرية الأخرى كما أدرك الإمام ابن باديس ما للصحف من أهمية في تعليم المواطنين وتوعيتهم وأنها الوسيلة التي تتيح لحركته الإصلاحية الاتصال بجمهور الشعب الجزائري في كافة أنحاء القطر[1]. لذلك قرر أن يدخل عالم الصحافة فبدأ الإمام الكتابة الصحفية في جريدة النجاح سنة 1919، ثم أصدر أول جريدة له باسم "المنتقد" في عام 1925 ثم "الشهاب" التي استمرت في الصدور مدة خمسة عشر عاما (1925-1939).

وكان الإمام ابن باديس من الأوائل الذين فكروا وسعوا لتأسيس هيئة وطنية لتوحيد جهود علماء الجزائر العاملين في الحقل الإصلاحي وفي عام 1926 أسس بعض العلماء والمثقفين هذه الهيئة تُلقى فيها المحاضرات والدروس وفي عام 1931 أعلنوا تأسيس جمعيتهم التي سميت بـ "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" وانتخبوا عبد الحميد رئيسا لها حتى وافته المنية يوم 16أفريل 1940 وكان تحت الإقامة الجبرية بقسنطينة.

---

[1] سعيد بورنان: المرجع نفسه، ص- ص، 99-100.

كانت نظرة عبد الحميد ابن باديس إلى قضية المرأة الجزائرية نظرة واقعية تناولت المشاكل الأساسية التي تعاني منها المرأة في وقت كانت فيه الجزائر مستعمرة، تبحث عن مكان لها.

لقد وقف ابن باديس موقفا محافظا من المرأة، فباعتبارها الثانية في المجتمع بعد الرجل استند إلى الفروق البيولوجية والجسمانية، وأنه اهتم بها اهتماما كبيرا وتحمس إلى تعليمها إذ فتح لها مجال التعليم الذي كانت محرومة منه، فقام بحملة توعية شاملة في كافة القطر الجزائري لترغيب وإقناع الآباء بواجب تعليم البنات مجانا بخلاف البنين، وذلك تشجيعا وترغيبا للآباء كي يرسلون بناتهم ليتعلمن.[1] شرط أن يكون هذا التعليم في دائرة التعاليم الدينية، إذ يقول[2]:" الجزائرية بدينها ولغتها، وقوميتها فعلينا أن نُعرّفُها حقائق ذلك لتلد لنا أولادا منا ولنا يحافظون على أمانة الأجيال الماضية للأجيال الآتية ولا ينكرون أصلهم وإن أنكرهم العالم بأسره، ولا يتنكرون لأمتهم ولو تنكر لهم الناس أجمعون، والطريق إلى هذا هو تعليم البنات ما يناسب خلقهن ودينهن وقوميتهن." فالجاهلة التي تلد أبناء للأمة يعرفونها مثل أمهاتنا عليهن رحمة، خير من العالمة التي تلد للجزائر أبناء لا يعرفونها[3] فابن باديس يؤكد كثيرا على وجوب تعليم المرأة الجزائرية، كما يهتم بنوع الثقافة

---

[1] طالبي عمار: المرجع السابق، ج.4، ص. 13.

[2] نفس المرجع، ج.5، ص- ص. 441-442.

[3] نفس المرجع، ص.442.

التي يجب أن تثقف بها نفسها حتى لا تتحول إلى حليف للاستعمار ولعل هذا يعود إلى أن المرأة الجزائرية في عصر العلماء المصلحين كانت محرومة من التعليم أو أنها متعلمة بعض الشيء. فالمرأة عند ابن باديس مثل الرجل لها كل الحقوق في التربية والتعليم إلى أقصى ما يمكن أن تصل إليه، لكن ابن باديس سعى إلى تعليم المرأة ومحاربة التفرنس[1] ورفض أن يكون تعليمها أجنبيا محضا يبعدها عن الإحساس الوطني الذي هو ضروري لخلق جيل يحفظ أصله ولا يتنكر لأمته، وتعليمها بالفرنسية يجعلها أداة في يد المستعمر وتدعيما لسيطرته على البلاد، فالمدارس الفرنسية ليس الهدف منها تعليم البنات الجزائريات لرفع مستواهن ثقافيا، بل تعليما ممسوخا، وهو تمهيد لهن كعامل تخريب لمقومات بلادهن وفيه استمرار الدولة الاستعمارية في الجزائر بطريقة غير مباشرة.[2] كما نظر ابن باديس إلى تعليم الفتاة الجزائرية من زاويتين:

الأولى: باعتبارها زوجة وقرينة الشاب المثقف، حتى لا تأخذه منها المرأة الأجنبية المتعلمة.

---

[1] سعد فهمي، المرجع السابق، ص. 97.

[2] رابح تركي: الشيخ عبد الحميد بن باديس ودوره في يقظة الجزائر، ط.1، دار الرحاب، بيروت، 1983، ص-ص، 230-229.

والثانية: باعتبارها حاضنة الأولاد ومربيتهم على القيم الدينية والخلقية والقومية للشعب الجزائري، وهنا يتضح لنا أن أعضاء جمعية العلماء المسلمين ليسوا ضد تعليم المرأة بل هم من دعاة تعليمها تعليما يتفق ومقوماتها الحضارية حتى تبقى جزائرية لا فرنسية.

ولعل جمعية التربية والتعليم التي أنشأها ابن باديس سنة 1930م لخير دليل على اهتمامها بتعليم المرأة في قانونها الأساسي على أن البنات يتعلمن مجانا بخلاف البنين، فقد أعفى البنات من رسوم الاشتراكات في التعليم. سواء كن قادرات أم عاجزات على الدفع تشجيعا لهن على التعليم حتى يتمكن من القضاء على مظاهر التدهور والجهل. وقد نجحت تلميذات في شهادة الابتدائية لمختلف الجهات الجزائرية في هذه المدارس التابعة للجمعية. أمثال زهور ونيسي وشعشوع فتيحة، خديجة خضير ولويزة قلال وغيرهن[1].

وقد كرس ابن باديس حياته للنهوض بالمرأة نهوضا صحيحا مفيدا في حدود إسلامها، كما دعا في محاضرة له بعنوان "الرجل المسلم الجزائري" مخاطبا الرجل[2]: "ارفع حجاب الجهل عن عقل المرأة قبل رفع حجاب الستر عن وجهها. فإن حجاب الستر ما

---

[1] انظر ملحق رقم (2).

[2] أحمد الخطيب: حزب الشعب الجزائري، ج1، الجزائر، 1986، ص، 232.

ضررها في زمان التقدم. فقد بلغت بنات بغداد وبنات قرطبة وبنات بجاية مكانا عاليا في العلم وهن متحجبات".

وكان ابن باديس واعيا بأهمية تعلم الفتاة الجزائرية وأثر ذلك في مستقبل النهضة الجزائرية، سواء من ناحية إعدادها علميا أو خلقيا كي تكون أما صالحة وزوجة جديرة بالشاب المتعلم الذي يرفض الاقتران بالفتاة الأهلية الجاهلة ويقبل الزواج بالمرأة الأجنبية المتعلمة. وهذا الزواج المختلط ينتج عنه خطورة على مستقبل الأولاد وكيان الأمة والدين، ولعلّ هذا هو السبب الذي تفتقت عنه عبقرية الشاعر الكبير الأمين العمودي حينما مازح زميله الدكتور سعدان المتزوج بفرنسية وأنجب منها ولذا سمياه "صالح موريس"، قائلا له[1]:

" حيّوا ولا تنسوا قرينته فهو سليمان والمدام بلقيس

له غلام أطال الله مدّته تنازع العرب فيه والفرنسيس

لا تعدلوه إذا ما خان أمته فنصفه صالح والنصف موريس"

ونختم هذا التوجّه الصائب الصحيح في نظرنا بقول حمزة بوكوشة حين أظهر ميزان المرأة والرجل فقال[2]:" إن المرأة من الأمة كالروح من الجسد والراحة من اليد إذا

---

[1] نقلا عن زهور ونيسي: الزواج بالأجنبيات والأجانب وخطره على الأسرة، مجلة "الأصالة" السنة السابعة، العدد 53، سنة 1978. ص، 89.

[2] حمزة بوكوشة: قيمة المرأة في المجتمع، مجلة "البصائر"، السنة الأولى، العدد8، ص، 3

صلحت، صلحت الأمة كلها وإذا فسدت، فسدت الأمة كلها، وهي المدرسة الأولى التي تلقي في طور الأمومة على ولدها دروسا عملية يتخذها صنوّ في مجاهل الحياة ومنار يهتدي به في الظلمات لذلك كانت نصف الرجل."مماسبق نخلص إلى القول بأن تعليم المرأة يعدُّ حتمية لكل مجتمع يريد النهوض بوطنه، لأن الله لم يجعل العلم حكرا على الرجال.

7) **موقف الشاعر محمد العيد آل خليفة من قضية المرأة** : هو شاعر الجزائر الكبير بن محمد علي بن خليفة حمو من محاميد واد سوف، ترعرع في أحضان أسرة عريقة في التدين. ولد محمد العيد بعين البيضاء يوم 28أوت 1904، فنشأ في ذلك الجو الأسري المفعم بالتقوى والعفة والورع فتشرّبت نفسه العقيدة الإسلامية والأخلاق الفاضلة والإيمان العميق بعز الإسلام وفخر الوطن، انتقل مع أسرته إلى بسكرة ليكمل بها حفظ القرآن الكريم، تعلم على يد الشيخ علي إبراهيم العقبي سنة 1921 ثم انتقل إلى جامع الزيتونة للدراسة وبعد سنتين توقف عن الدراسة بتونس لأسباب صحية ليعود إلى بسكرة ويكمل مشواره العلمي على يد علمائها ومشايخها منهم الشيخ المختار اليعلاوي في دروسه الليلية بالمسجد العتيق ليدرس عنه الفقه والحساب والفلك وأيضا عن البشير الإبراهيمي بالزاوية التيجانية ببسكرة في دروس اللغة والأدب والطيب العقبي في مسجد بكار في دروس التفسير والحديث.

شارك منذ شبابه في حركة الانبعاث فاتخذ من شعره أداة للتعبير عنمصالح الأمة والدفاع عن قضاياها، وجعل من التعليم خير وسيلة لتربية الجيل الجديد الذي يحمل لواء الحرية والاستقلال ومن الصحافة منبرالإصلاح الأمة بنشر الوعي الثقافي والاجتماعي والسياسي.

أطلق عليه عبد الحميد بن باديس لقب " أمير شعراء الجزائر" أما البشير الإبراهيمي قال فيه:" رافق شعره النهضة الجزائرية في جميع مراحلها لو جُمع شعره، لعُدّ سجل صادق لهذه النهضة وعرضُ رائع لأطوارها، وهو يعتبر أحد أبرز العلماء والمدرسين والشعراء الجزائريين الذين كافحوا الاحتلال وخدموا دينهم وأمتهم ووطنهم.

في سنة1927 انتدبته جمعية الشبيبة الإسلامية بالعاصمة معلما بمدرستها فمكث بها ثلاث سنوات ثم مديرا لها خلفا للشاعر محمد الهادي السنوسي إلى غاية سنة1941 ليعود إلى بسكرة فمكث بها عدة أشهر ثم انتقل إلى باتنة وانخرط في نشاط جمعية العلماء المسلمين، وكان شعره أداة من أدواتها وسجلا لمواقفها وكتابا لتاريخها استقر بها ست سنوات يدير مدرسة التربية والتعليم للجمعية إلى غاية سنة 1944 حيث منع من التعليم وقدم للمحاكمة، وأغلقت المدرسة، إلاّ أن محمد العيد ظل يواصل نشاطه العلمي والإصلاحي بباتنة إلى غاية سنة1947 ثم اتجه إلى مدينة عين مليلة ليشرف على إدارة مدرسة العرفان المستقلة وظل الاحتلال يلاحقه ويراقبه طوال إقامته بعين مليلة إلى غاية

اندلاع الثورة الكبرى حينها واصل محمد العيد رسالته في التغني بالحرية والتبشير بالنصر والاستقلال، والدعوة إلى دعم الثورة تحت طائل التهديد بالسجن فرفض رفضا قاطعا التّخلي عن هدفه وهكذا أوقف عن العمل في جوان 1955 وأدخل سجن المدينة ثم حول إلى سجن الكُدية بقسنطينة وقدم للمحاكمة بتهمة التحريض ضد السلطة الفرنسية والدعوة للثورة ومساندتها وبعد إطلاق سراحه عاود نشاطه من جديد، فاقتحموا عليه منزله بتهمة التحريض على إعدام المستوطن الفرنسي "جوليان" لتفرض عليه الإقامة الجبرية بمنزله في بسكرة تحت الحراسة المشددة طوال أيام الثورة. أما بعد الاستقلال فقد انتخب سنة1972 عضوا بمجمع اللغة العربية بدمشق ولازم الاعتكاف في بيته زاهدا في الدنيا، فكان يقضي نصف السنة في بسكرة ونصفها الآخر ببانتة حتى توفي بمستشفى باتنة يوم 31جويلية1979 ودفن بمقبرة "العزيلات" ببسكرة بعد يومين من وفاته. له ديوان شعر من 600 صفحة وقصائد كثيرة لم تنشر وله أيضا عدد كبير من القصائد في مديح شيوخ التيجانية.

ظل محمد العيد آل خليفة متحفظا مراعيا للظروف الاجتماعية والتقاليد التي كانت قوية مؤثرة، فمع دعوته إلى تعليم المرأة في هذه السنوات المبكرة من ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلا أنه كان يرى أن مهمة المرأة الأساسية هي البيت وما يتطلبه من تربية ورعاية، يقول في نشيد نساء الجزائر

قرن في البيت أنه يقتضين فئة يا نساء الجزائر.

كن في البيت للرجل نسوة فذة المثل يا نساء الجزائر.

كن في البيت للولد هاديات إلى الرشد يا نساء الجزائر.

واضح أن الشاعر محمد العيد قد تألم لما شاهده ورآه من أخلاق سيئة قد انتشرت وتفشت في بعض الأسر الجزائرية في السنوات الأخيرة وأدرك أن هذه الأمور راجعة إلى الجهل وانعدام الثقافة، وعليه فالعلم والثقافة عنده هما الدرع الواقي والحصن المنيع لهذه الأمراض الاجتماعية.

كان محمد العيد ينظر إلى تهذيب المرأة وترقيتها حتى تصبح المدرسة الأولى التي يتخرج منها الخلف الصالح، فمنذ سنة 1937 تغيرت نظرته للمرأة، فأصبح يدعو إلى تعليمها وتربيتها بالمدرسة وانظم إلى الفريق المؤيد لتعليم المرأة، وخاطب المعارضين له بقوله:

"أذوي العمائم سايروا قرآنكم وتتبعوا هدى الرسول الأشفع.

أذوي العمائم راجعوا تاريخكم من منذ عهد الداي حتى تبع.

أذوي العمائم علموا وتعهدوا بالوعظ والذكرى ذوات البرقع.

أتوا النساء نصيبهن من الهدى يخرجن نشئا كالرماح الشرع.

وابنوا المدارس نظرة مزدانة تحكي المغارس في الربيع المونع".[1]

يضيف محمد العيد إلى جانب هذه الدعوة العدل بين الذكر والأنثى في التعليم وأن يكون لهما نفس الحقوق وعليهما نفس الوجبات باعتبار المرأة هي العنصر الثاني في التركيبة الاجتماعية ولابد من الاهتمام بالطرفين وإلا اختل التوازن حيث يقول في هذا الشأن:

"أقم العدل بين جنسيك وأجنح الذي يستوي به الجنحان.

علم البنت فهي للبيت أسس وقوام هيكل البنيان.

علموا ما به تحظى النف س لينكف عن أذاها اللئام.

علموا المرء كل ما فيه مجد وشغوف لقدره واحترام.

علموا المرأة الحقائق في الدي ن فقد طوحت بها الأوهام.

علموها كيف النظام وكيف الس عي في بيتها وكيف القيام.

علموها كيف التودد للزو ج وكيف التقدير والإعظام"[2]

---

[1] محمد العيد آل الخليفة: ديوان محمد العيد آل خليفة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، مطبعة البعث، الجزائر، 1967، ص، 149.

[2] المرجع نفسه، ص، 178.

وقد أفصح محمد العيد عن رأيه في تعليم المرأة كلما سمحت له الفرصة ، وكرر دعوته إلى تعليم المرأة لأنها ظلت صعبة الاستيعاب عند الكثير من الأفراد ولم يستطيعوا هضمها إلا في مرحلة الاستقلال الكلي عن الاستعمار الفرنسي، وقد عبّر عند افتتاح مدرسته ببانتة التابعة لجمعية العلماء المسلمين عام 1954 فيقول:

تنافس في مدارسه فكانت أدل شواهد وأجَلُّ آية.

تسترضع اللبان بها عزارا وتكترع الكؤوس بها روايا.

وتنشأ راشدات مرشدات تقود إلى الهدي الشيع الغوايا

تذود عن الجزائر مرهقيها وتحيا في أراضيها رضايا"

وقد ظل محمد العيد آل الخليفة يعبر بصراحة على وجوب تعليم المرأة الجزائرية باعتبارها الخلية الأولى في المجتمع وذلك من خلال تحصينها وتعليمها مبادئ الدين الإسلامي حتى يكون درعا لها يقيها من هاوية الرذيلة والانحراف.[1]

[1] كمال عجالي: المرأة في ديوان محمد العيد آل الخليفة، (د، ج)، (د، ط)، العدد 95، وزارة الثقافة والسياحة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ص، 304.

خاتمة:

لا شك أن دراسة موضوع المرأة الجزائرية وتطورها الذي اجتهدت فيه بما استطعت بدءا بلملمة مادته الخبرية ثم تحليلها وتمحيصها واستعملت فيه المناهج العلمية اللازمة من الوضع الذي كانت عليه المرأة قبل الاحتلال، إلى معالجة وضعها أثناء الاحتلال، كما تتبّعت مراحل تطورها التي بدأت ببطء شديد، وعرّفت بفئتي النخبة الجزائرية التي ساهمت بطريقة أو بأخرى في تطور المرأة وأيضا طرائقها ورؤاها المختلفة من القضية، وبعد أن استوفت هذه الدراسة جوانبها، تمخّضت عنها نتائج فرضت نفسها عليّ ويمكن تلخيصها كما يلي:

لقد بيّنت الوضع الاجتماعي الذي كانت عيه المرأة الجزائرية مغمورة منسية وكأنها لم تكن عضوا في المجتمع، بل استنتجت أن المجتمع الجزائري كان على النمط الذكوري الذي يحتقر المرأة ويحطُّ من قيمتها، بل وصل الحال إلى أن مجرّد ذكرها كمن يذكر الشيطان على الرغم من أن هذا المجتمع لا زال على إسلامه، وعلى الرغم أيضا من أن المرأة كانت تلعب أدوارا هامة في الحياة الاقتصادية حتى أن نِسبا هامة من مبيعات الأسواق كان من إنتاجها.

كما استخلصت من هذه الدراسة أن وضع المرأة الاجتماعي كان على مستويين حسب بيئتها، فالتي كانت تعيش بالريف تختلف عن تلك التي تعيش بالمدينة، فالأولى لم

يكن التزامها بالحجاب مثل الثانية، بحكم فقرها وعملها وحاجتها للاندماج بالمجتمع. أما الثانية (الحضرية)، فكان نصيبها من الحياة أفضل بكثير مما هي عليه الأولى، إذ كانت محافظة على حجابها وتتردد من حين إلى آخر على الحمام وتذهب إلى الأعراس، بل إن بعض الحضريات قد تلقين نصيبا من التعليم، أما فيما يتعلّق بحرية الزواج فقد استنبطت أن المرأة الجزائرية لم يكن لها مجالا واسعا في اختيار شريكها، بل كان القرار عائدا لأهلها، سواء كان الأب أو من يقرر إنابة عنه كالأخ أو الخال.

لقد استخلصت من هذه الدراسة أن البلوى التي عاشتها المرأة الجزائرية من تعسف مجتمعها وظلمه لها، قد ازدادت وتعددت بمجيء الاستعمار الفرنسي، فإلى جانب القوانين المجحفة في حق الأهالي ذكورا وإناثا على حد سواء، هناك ظلم وجور زائدين بالنسبة للمرأة ويتعلّق الأمر بحرمانها من التعليم، إلاّ النذر القليل من النساء، ثم الاعتداء على شرفها من قبل الأوروبيين خاصة العسكريين منهم.

وعلى الرغم من الوضعية الصعبة جدا التي كانت تعيشها المرأة الجزائرية، فإنها لم تبق مكتوفة الأيدي، بل مدت يد العون للرجل في غالب الأحوال للتغلب على مصاعب الحياة ومواجهة نكبات الاستعمار الذي حاول تدمير كل شيء خاصة الخلية الأولى للمجتمع، وقد لاحظت أن هناك من النسوة اللائي اجتهدن ومع قليل من الحظ قد فرضن أنفسهن في ميادين شتى كالتعليم والطرز والحياكة وغيرها، كما كان للبعض الآخر الشجاعة

اللازمة لتقف إلى جانب المجاهدين أيام الثورة وشاركن بمجهود جبار وفي تخصصات خطيرة كالاستعلام والمخابرات.

وبعد مرور أكثر من نصف قرن على الاحتلال الفرنسي بالجزائر، ظهرت نخبة من الجزائريين الذين تعلموا بالمدارس الفرنسية وهو ما حفّز ظهور النخبة المحافظة وعند ذلك بدأت كل فئة تحاول فرض نفسها عن طريق وسائلها – من خطب وجرائد وغيرها– على الساحة الثقافية والاجتماعية وكان موضوع المرأة أحد المجالات الخصبة وميدانا للمناظرة، فكان لكل فئة رؤى في معالجة موضوع المرأة الجزائرية حسب توجهها وقناعاتها.

استنتجت بالدرس والمقارنة أن فئة المتفرنسين كانت سبّاقة لمعالجة موضوع المرأة، وبما أن هذه الفئة أصبحت غربية الفكر وامنت بعصر الأنوار، لذلك عالجت موضوع المرأة وقدّمت حلولا حسب قناعات شخصيات هذه الفئة من النخبة، لأنها كانت ترى في القضية على أنها اجتماعية وحضارية من أجل اللحاق بالمجتمعات الإنسانية المتقدمة.

يمكن للمرء أن يستنتج ملاحظة هامة، وهي أن الغالبية الساحقة من النخبة المتفرنسة قد دعت إلى تعميم التعليم الفرنسي وأن يكون متاحا للبنين والبنات على حد سواء، هذا التعليم يجب أن يكون في إطار الثقافة الفرنسية، لكي تستطيع المرأة الجزائرية المشاركة في الحياة العامة ومن ثمة تصبح المرأة الجزائرية ذات تعليما فرنسيا ويمكنها تقليد المرأة الغربية في السلوك واللباس والعادات، ومن المتفرنسين الذين ذهبوا بدعواهم في حرية المرأة الجزائرية

في تيار المدنية الغربية إلى ما يخرجها عن حدود دينها ووظيفة أنوثتها، بل منهم من طالب بسفورها وخروجها عن الدين الصحيح.

كما استنتجت بمقارنة آراء فئةهذه النخبةفوجدت أن هناك من شذّ عن قاعدة الغالبية، إذ طالب البعض منهم بتعليم المرأة الجزائرية من دون إخراجها عن قواعد دينها وحشمتها، لأن تقليد المرأة الأوروبية لن يحل المشكلة التي تعاني منها المرأة الجزائرية، بل يعقّدها، ولأنه يحوّل المرأة المحتشمة والمتحجبة إلى امرأة سافرة، فلا يمكن أن تُؤخذ المرأة الأوروبية كنموذج للمرأة المسلمة فهو في نظر أحد شخصيات هذه النخبة خطأ كبير لا يسمح به ديننا ولا أخلاقنا، ولأن المرأة الأوروبية فقدت تنظيمها الاجتماعي، وكانت ضحية المجتمع الذي حررها، والذي لا تستطيع أن تكون النموذج والمثل المطلوبين عند المسلمين.

أما فيما يتعلّق بمواقف النخبة الثانية وهي النخبة المحافظة المتشبعة بالثقافة العربية الإسلامية التي كانت تؤمن بضرورة تكريس الهوية الإسلامية في أوساط المجتمع الجزائري من أجل المحافظة على كيان الأمة الجزائرية، فقد استخرجت بالدرس والتحليل أنها قد عالجت موضوع المرأة الجزائرية وتطوّرها ويكمن رأي أغلبية هذه النخبة في محدوديتهويتمثّل في تعليمها أهم ضروريات الحياة، من جهة، ومن جهة أخرى أن تبقى في بيتها لتهتم بزوجها وأطفالها، وهناك من دعا إلى وجوب شمولية المعرفة لدى المرأة بما فيها معرفة العلوم التربوية وعلم النفس حتى تستطيع أن تواجه الحياة بكل مشاكلها.

خاتمة

وقد استنتجت أن من شخصيات هذه النخبة التي فكرت وعملت على تقديم مجهودا معتبرا للوقوف ضد المجتمع المتحجر الذي لم يُخْلِ سبيل المرأة لأخذ نصيبها في التعليم، فمنهم من قام بالتوعية الشاملة لترغيب وإقناع الآباء بواجب تعليم البنات مجانا بخلاف البنين، تشجيعا وترغيبا لهؤلاء الآباء. كما استنتجت سمو فكر هذه الشخصية في إعطاء المرأة تعليما متأصلا يؤدّي إلى الحفاظ على التعاليم الدينية والشخصية الجزائرية وإشباعها بالروح الوطنية.

كما استنطت دعوة شخصيات من هذه الفئة ومناداتها بالعدل بين الذكر والأنثى في التعليم على أن يكون لهما نفس الحقوق وعليهما نفس الوجبات باعتبار المرأة هي العنصرالثاني التي لا يمكن للمجتمع أن يقوم من دونها.

الملاحق

ملحق رقم 1

ابتلينا نحن مسلمي العصر الحديث بكثرة القول وعدم العمل – نعم فلو أن كل ما ورثناه من آيات كريمة وأحاديث شريفة طبقناه بالفعل كما كررناه بالقول لما آلت حالتنا إلى مثل هذا ولكُنا خير أمة أخرجت للناس حقيقة لا شك فيها، ولكانت لنا نعم المعين والنصير، كما كانت يستعان بها ويتبع هداها في ذلك العصر الزاهر عند الحروب والمصائب.

لأن في القرآن والحديث ما يغنينا عن جميع الأخلاق. وما الأخلاق الفاضلة الهادية إلى سواء السبيل إلا القرآن والحديث لا شيء آخر عداها، ولكننا اكتفينا بالقول وتكراره وغرسه في العقول لجيل بعد جيل ولم نطبق منه شيئا تطبيقا ملموسا، ولم نستخرج منه اللباب والنفع والفائدة التي ما بعدها فائدة، عرفنا أن القرآن فيه كل الدين والعلم والحياة، وعلمنا أنه أنزل لمحاربة الأخلاق الرذيلة، التي أخذت مكانها في قلوبنا ولكننا لم يخطر ببالنا يوما أن نحلل ما حلله ونحرم ما حرمه، عرف كل واحد منا واجبه المقدس نحو أمته، فللرجل واجب وللمرأة واجب وللفتاة أكبر الواجبات.

سوف يدهش القارئ الكريم من كلمتي هذه ولكن سرعان ما يسترجع هدوءه عندما يعلم – وهو أعلم بذلك مني – أن الفتاة هي الركن الوحيد الذي يعول عليه في إنشاء جيل متبع لأخلاق كتابه الكريم والأحاديث نبيه الشريف.

نعم سوف تتثقف وتكبر وتنشئ مجتمعا صغيرا في بيتها تكون هي قائده فتسيره كما شاءت لها ثقافتها وتعليمها ومدنيتها، هذا هو الأمل الوحيد للنهوض بهذه الأمة الذاوية.

وما أسرع ما يذهب هذا الأمل أدراج الرياح عندما نرى فتياتنا يقرأن ولا يطبقن، ويقلن ولا يفعلن، فأي فائدة يا ترى من القراءة والتعليم؟.

يتمنى كل إنسان أن يكون له حق في بلاده، وأن يكون سيد قومه، ومالك وطنه، يعيش فيه رافع الرأس عزيزا مكرما، وما أشد وطء الصدمة على قلبه عندما يعلم أن ذلك أضغاث أحلام ويفيق من نشوته ليجابه الحقيقة المرة، لا يعمل ويمني نفسه الأماني الباطلة التي تزود دائما برصيد من الحيرة والبلبلة.

لقد كان القرآن في عهد النبي(ص) سراجا منيرا يأخذ بأيدي المسلمين إلى قمة المجد والسؤدد بالعمل لا بالقول، فكانوا خير أمم عصرهم وأعلاها وأمجدها. وقد عبر الفيلسوف الأكبر الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي حفظه الله ورعاه عن هذا الداء المتأصل في قومه بقوله المؤثر: فخالوكم على البعد أعمالا، فوجدوكم على القرب أقوالا لله دره من حكيم فذ.

ويجدر بالفتيات المتعلمات على الأخص اليوم مداواة أدوائهن ومعالجة أمراض مجتمعهن،فهن نور بنات جنسهن الضئيل في هذه البلاد الفاقدة لنور الحياة.[1]

ملحق رقم:2

[1] محمد خير الدين: مذكرات الشيخ محمد خير الدين، ج1، مطبعة حلب، ص، ص، 180، 181.

قائمة الناجحات في شهادة الابتدائية العربية بمدارس جمعيةالعلماء المسلمين[1]

المـــركـــز	أسماء الناجحات	الرتبة
مركز العاصمة	زهور ونيسي	1
	جميلة خليفات	2
	عائشة سحنون	4
	زبيدة مومن	5
مـــركز قسنطـــينة	شعشوع فتيحة	1
	جميلة بو شرشم	2
	زهية ونيسي	3
	خـــديـــجة سعيود	4
مركز وهـــــران	ســـا مغـــراوي	1
	مـــلوكـــة سويـــدي	2
	خـــديـــجـــة خضيـــر	4
	وافـــيـــة رشـــيـــد	5
مركـــز ســـطيـــف	زبيـــدة بن بلوطة	1
	لويزة قلال	3
	كاملة الدين شرفي	5
	كلثـــوم بن العايب	6

[1] محمدخير الدين:مصدر سابق ،ص،ص.168، 171،169، 177.

بيبليوغرافية البحث

قائمة المصادر باللغة العربية

1. القرآن الكريم

2. أحمد بن حنبل ابو عبد الله الشيباني: مسند الامام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، القاهرة، ج.6، نقلا عن الموقع الالكتروني للمكتبة الشاملة.

3. الإبراهيمي محمد البشير: في قلب المعركة، ط.1، شركة دار الأمة، الجزائر، 1997.

4. الابراهيمي محمد البشير: آثار البشير الابراهيمي. ت، أحمد طالب الابراهيمي، ج. 4، ط.1. دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة، 1997

5. إحسان حقي: الجزائر العربية أرض الكفاح المجيد، ط1، دار الحداثة بيروت، 1961.

6. آل الخليفة محمد العيد: ديوان محمد العيد آل خليفة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، مطبعة البعث، الجزائر، 1967.

7. بن نبي مالك: شروط النهضة، ت: عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين، ط. 4، دار الفكر، الجزائر، 1987.

8. فانون فرانز: العام الخامس للثورة الجزائرية، ت. ذوقان قرقوط، ط.1، دار الفرابي، بيروت، لبنان، سنة2004.

9. المدني محمد توفيق: كتاب الجزائر، ط3، دار الكتاب، الجزائر، 1963

قائمة المصادر باللغة الفرنسية

1. Benhebiles Cherif : l'Algerie Française vue par un indigène, imp, fontana, 1914
2. Soualeh Mohamed :La société indigène de l'Afrique du nord. Imp. La typo-litho, Alger .1937.

قائمة المراجع باللغة العربية:

1. بسام العسلي: المجاهدة الجزائرية، دار النفائس، الجزائر، 2010.

2. بسيسو عبد الرحمان: مائة عام على تحرير المرأة، سلسلة أبحاث المؤتمرات، ج1، المجلس الأعلى للثقافة.

3. بشي يمينة: مآثر المرأة الجزائرية، دار الحكمة، الجزائر، سنة 2000.

4. بن خليف عبد الوهاب: الوجيز في تاريخ الجزائر من بداية الاحتلال الفرنسي إلى مجازر 8 ماي1945، ط1، دار يني مزغنة، الجزائر، 2005

5. بورنان سعيد: شخصيات بارزة في كفاح الجزائر 1830-1962، (رواد الكفاح السياسي والإصلاحي، 1900-1954)، ج2، ط2، دار الأهل للطباعة والنشر والتوزيع، 2004، تيزي وزو، الجزائر.

6. بوطالب عبد الهادي: حقوق الأسرة وتحرير المرأة، دار الثقافة، مؤسسة النشر والتوزيع، الدار البيضاء. الجزائر.

7. بوصفصاف عبد الكريم: المرأة الجزائرية في ولاية سطيف وتضحياتها الكبرى، 1954-1962، عمار قرفي، باتنة 1997.

8. بوصفصاف عبد الكريم: الفكر العربي الحديث و المعاصر،(دراسة مقارنة بين محمد عبده وعبد الحميد بن باديس نموذجا)، ج1، الجزائر، سنة 2005.

9. بوعزيز يحي: المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية العربية، دار الهدى، الجزائر.

10. تركي رابح: الشيخ عبد الحميد بن باديس، فلسفته وجهوده في التربية والتعليم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1969.

11. تركي رابح: الشيخ عبد الحميد بن باديس ودوره في يقضة الجزائر، ط1، دار الرحاب، بيروت، 1983.

12. جغلول عبد القادر: تاريخ الجزائر الحديث (دراسة سوسيولوجية)، ت، فيصل عباس، ط.2 ، دار الحداثة، بيروت، 1982.

13. جغلول عبد القادر: المرأة الجزائرية: ترجمة سليم قسطون، ط1، دار الحداثة بيروت، لبنان. 1983

14. حلوش عبد القادر: السياسة الاستعمارية التعليمية الفرنسية في الجزائر(1871-1914)، إشراف محمد خير فارس.

15. الخطيب أحمد: حزب الشعب الجزائري، ج1، الجزائر، 1986.

16. الخطيب أحمد: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر.

17. خير الدين محمد: مذكرات الشيخ محمد خير الدين، ج1، مطبعة حلب. ؟198

18. الزبير سيف الإسلام: تاريخ الصحافة في الجزائر، ج5، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، سنة، 1984.

19. زرمان محمد: معالم الفكر السياسي والاجتماعي عند الشيخ البشير الإبراهيمي، مطبعة، عمار قرفي.

20. زغدود علي: ذاكرة ثورة التحرير الجزائرية، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 2004.

21. زوزو عبد الحميد: المرجعيات التاريخية للدولة الجزائرية الحديثة، دار هومة، ط1، الجزائر، 2005.

22. سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ج.1،ط.1 دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998

23. سعد الله أبو القاسم: أبحاث وراء في تاريخ الجزائر، ج5، ط خاصة، دار البصائر، الجزائر، 2007.

24. سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1998.

25. سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية(1900- 1930)،ج.2، ط. 4، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، لبنان، 1992.

26. سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر هجري، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

27. طالبي عمار: أثار الإمام عبد الحميد بن باديس، ج5، ط1، دار البعث، قسنطينة.

28. المرأة في ديوان محمد العيد آل الخليفة العدد 95، وزارة الثقافة والسياحة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر.

29. العمري الطاهر: النخبة الوطنية الجزائرية (مشروع المجتمع 1900-1940)، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 2003-2004.

30. غطاس عائشة: تاريخ النساء بالمغرب، ت. دلندا الأرقش، مركز المطبوعات الجامعية، تونس، 2000.

31. فهمي سعد: حركة عبد الحميد بن باديس ودوره في يقضه الجزائر، دار الرحاب للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان،

32. الميلي محمد: ابن باديس وعروبة الجزائر، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

33. ناصر محمد: المقالة الصحفية الجزائرية المجلد الأول، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978.1980

34. نويهض عادل: معجم إعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط.2، مؤسسة نويهض وللترجمة والنشر، بيروت، لبنان، 1983.

35. يحياوي مرابط مسعودة: المجتمع المسلم والجماعات الأوروبية في الجزائر (سلسلة المترجمات، الحقائق وإيديولوجيات وأساطير ونمطيات)، مجلد 1، ت. محمد المعراجي، دار هومة، الجزائر 2010.

36. يوسف لعلى فاطمة:مائة عام على تحرير المرأة، سلسلة أبحاث المؤتمرات، ج1، المجلس الأعلى للثقافة.

قائمة المراجع باللغة الفرنسية

1. Merad Ali :le réformisme musulman en Algérie dc 1925à1940, édit, Mouton, Paris, 1967.

2. Turin.Y. Affrontements culturels dans l'Algéric coloniale (écoles, médecines, religion (1830- 1880), E .N.A.L. 1971.

الرسائل الجامعية:

1. خمري الجمعي: حركة الشبان الجزائريين (1900-1930)، إشراف، د. حماد حسين، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، 1993-1994.

2. معماش النوي: المتجنسون المسلمون الجزائريون(1865-1919) بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ ، جامعة منتوري بقسنطينة، السنة الجامعية 2000-2001

المقالات بالعربية:

1. حمزة بوكوشة: قيمة المرأة في المجتمع، مجلة "البصائر"، السنة الأولى، العدد8،

2. أبو القاسم سعد الله: المترجمون الجزائريون وإفريقيا، مجلة الثقافة، عدد 113، سنة 1996، ص، 34.

3. زهور ونيسي: الزواج بالأجنبيات والأجانب وخطره على الأسرة، مجلة "الأصالة" السنة السابعة، العدد 53. سنة 1978.

4. النوي معماش: موقف المتجنسين الجزائريين من المرأة خلال النصف الأول من القرن العشرين، مجلة الحوار الفكري، العدد 06، سنة 2004، قسنطينة.

5. جميلة معاش :نماذج عن مكانة المرأة خلال العهد العثماني، مجلة التراث، باتنة ، العدد 08 ، نوفمبر 1995

6. قشي فاطمة الزهراء : الهبة ومؤخر الصداق: ممارسات قسنطينية في القرن الثامن عشر، مجلة سيرتا، عدد خاص، مارس 200.

المقالات بالفرنسية:

1.Candide: Le progrès par le mariage mixte. in. Voix des Humbles. janvier; 1929.N°=.70

2.Lechani : la famille indigène en Algérie , in voix des humbles, N°99 , 20 mars 1931.

3.Makaci Kadour :La polygamie et le droit de vote ,in. Voix des Humbles, sept,1936.N°. 72

4. Ait-Amcur Ahmed : La femme dans l'Islam , in. La Voix des Humbles, février – mars, 1931, N° .96-97.

فهرست البحث

العناوين	الصفحات
مقدمة	أ
الفصل الأول: وضع المرأة الجزائرية الاجتماعي قبل وأثناء الاحتلال الفرنسي	1
1 المرأة في ميزان الإسلام	1
2 الوضع الاجتماعي للمرأة الجزائرية قبل الاحتلال الفرنسي	7
3 الوضع الاجتماعي للمرأة الجزائرية أثناء الاحتلال الفرنسي	11
4 الدور الاجتماعي للمرأة الجزائرية أثناء الاحتلال الفرنسي	21
الفصل الثاني: مواقف النخبة المتفرنسة من قضية المرأة	29
1. مفهوم النخبة المتفرنسة	30
2. موقف النخبة المتفرنسة من العائلة الأهلية	33
3. موقف إسماعيل حامد من قضية المرأة	38
4. موقف محمد صوالح من قضية المرأة	40
5. موقف الشريف قاضي من قضية المرأة	43
6. موقف الشريف بن حبيلس من قضية المرأة	45
7. موقف فرحات عباس من قضية المرأة	47

8. موقف مالك بن نبي من قضية المرأة 51

الفصل الثالث: موقف النخبة المحافظة من قضية المرأة 55

1. تعريف النخبة المحافظة 56

2. موقف الشيخ عبد القادر المجاوي من قضية المرأة 57

3. موقف مصطفى بن خوجة من قضية المرأة 60

4. موقف ابن قدور من قضية المرأة 63

5. موقف الشيخ محمد البشير الإبراهيمي من قضية المرأة 65

6. موقف الشيخ عبد الحميد بن باديس من قضية المرأة 70

7. موقف الشاعر محمد العيد آل خليفة من قضية المرأة 76

الخاتمة 82

الملاحق 87

البيبليوغرافيا 91

الفهرست 99